

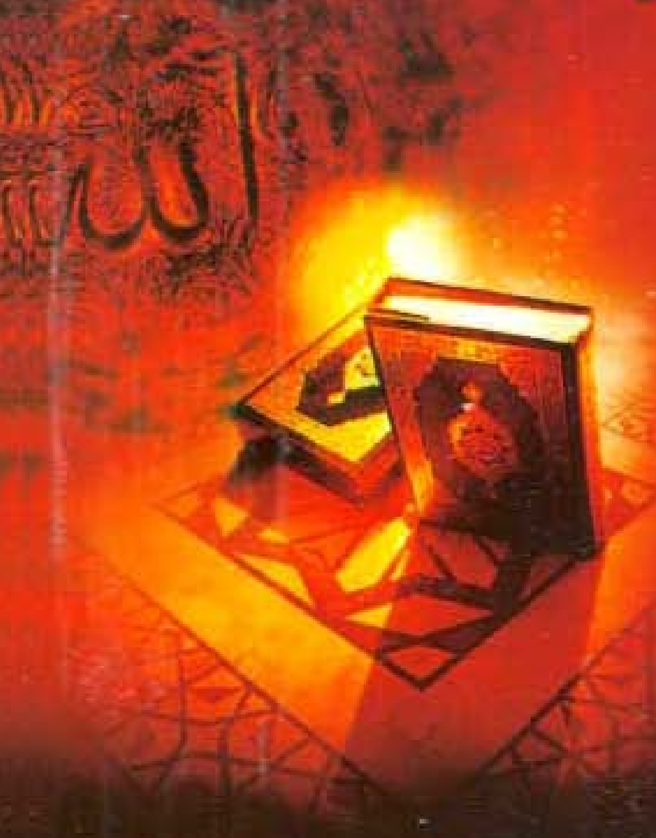
عيوب النفس ودواؤها

للشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد زروق
البرنسي الفاسي
المتوفى ٨٩٩ هـ

وعلى هامشه

كتاب عيوب النفس للسلمي

تحقيق وشرح
الأستاذ محمد طيب
حفيد الشيخ أحمد زروق







للشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد زروق

البرنسي الفاسي

المتوفى ٨٩٩ هـ

وعلى هامشه

كتاب عيوب النفس

للسلمي

تحقيق وشرح

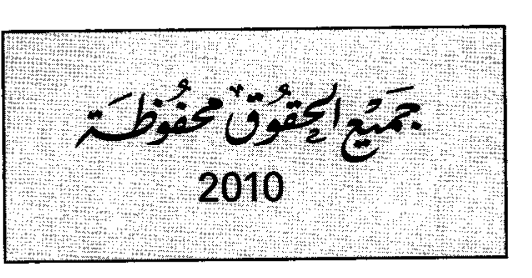
الأستاذ محمد طيب

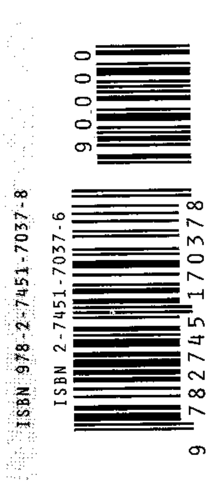
حفيد الشيخ زروق



دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title	: VICES OF SOUL AND ITS CURE	الكتاب	: عيوب النفس ودواؤها وعلى هامشه : عيوب النفس للسلمي
Classification:	Sufism	التصنيف	: تصوف
Author	: Al-šayḫ Abu al-Ȁbbās Aḥmad Zarrūq	المؤلف	: الشيخ أحمد زروق
Editor	: Mohammad Tayeb	المحقق	: محمد طيب
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	الناشر	: دار الكتب العلميـــة - بيروت
Pages	: 128	عدد الصفحات	: 128
Size	: 17* 24	قياس الصفحات	: 24 *17
Year	: 2010	سنة الطباعة	: 2010
Printed in	: Lebanon	بلد الطباعة	: لبنـــان
Edition	: 1st	الطبعة	: الأولى




ISBN 978-2-7451-7037-8
ISBN 2-7451-7037-6



إهداء

أهدي كتابي هذا إلى:

كل من جاهد النفس والهوى والشيطان، ورأي أن الجهاد الحقيقي الذي حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم يتمثل في ذلك؛ لأن بالجهاد الأكبر، وببناء المسلم. القوي. المتكامل. المؤثر يتحقق بناء الأمة القوية التي تستطيع مواجهة كل الصعاب، والتحديات.

المحقق: محمد طيب إدريس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أرجوزة عيوب النفس ودواؤها هي: نظم وشرح لرسالة الإمام أبي عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي(توفي سنة **412** هجرية) كما أشار إلى ذلك الشيخ زروق في مقدمة رجزه؛ والتي سميت في بعض المصادر ب: "الأنس في عيوب النفس"[1]؛ أو: "نظم فصول السلمي"[2]؛ أو: "نظم عيوب النفس ومداواتها"[3].

وقد تم الاعتماد في تحقيق الأرجوزة على مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم **984** د / فلم: **4870**. حيث تم الرجوع إلى المخطوط الأصلي؛ لأن الفلم المصور جاء غير مرتب، وغير تام.

بلغ عدد صفحات المخطوط الأصلي: **172** صفحة. احتل الرجز منه **16** صفحة من ص: **80** إلى ص: **95**.

---

(1) انظر مخطوط رقم 684 د. المكتبة الوطنية بالرباط.

(2) انظر مخطوط رقم: 6647 الخزانة الحسنية بالرباط.

(3) انظر مخطوط رقم: 5136 ب، و عدد: 12266،و عدد 0516 الخزانة الحسنية.

هناك نسخ أخرى:

- عيوب النفس ومداواتها. مخطوط المكتبة الوطنية بالراط. 984 د / فلم 4870. من ص: 80 إلى ص: 95.
- عيوب النفس للسلمي.مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 16 ك ضمن مجموع. من ص: 247 / فلم 2394 مبتور الآخر. - مخطوط 1810 د من ص: 120 إلى 125.

هذا مع عرض المخطوط الأصلي، ومقارنته بمخطوطات أخرى.

وتعتبر أرجوزة: "عيوب النفس ودواؤها" من أهم أعمال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى، وأكبر دليل على مكانته كشيخ مرب عارف بمكامن النفس وأدوائها وطرق مداواتها فضلا عن قدرته في مجال النظم والرجز.

فإذا كان أهل عصره قد نظموا في اللغة والفقه؛ فإن الشيخ زروق يعتبر من أول من تعرض لعيوب النفس نظما ورجزا بعدما تعرض إليها غيره ترسلا ونثرا.

هذا ومما يزيد هذه الأرجوزة قيمة أن الشيخ زروق قد نظمها كلها بالروضة المشرفة قرب الحجرة النبوية المطهرة أثناء حجّه وزيارته للمسجد النبوي الشريف سنة 888 هجرية وهي حجة لم يشر إليها من ترجم للشيخ أحمد زروق، وإلى ذلك يشير في آخر الأرجوزة:

أتممته جميعه بطابة ... وذَلِكَ تاريخ ملَا وَطابه

وَكان ذَاكَ بدار الهجرة ... في روضة المختار قرب الحجرة

تجاه رأس الهاشمي الأَطهر ... من حسنه لكل عقل يبهر

عليه أفضل صلَاة وَأجل ... تحية مِنْ ربه عز وَجل

عام ثمان وَثمانين نجز ... بعد ثمانِي مائة هذا الرِّجز

في يَوم الاثنين لدَى الظهيرة ... نصف جمادَى وَهِيَ الأَخيرة

وهو ما يعطي القصيدة أو الأرجوزة نفحة روحية، وقيمة صوفية خاصة.

قال الخروبي في شأن هذا العمل: "رجز – أي الشيخ زرُّوق - كلام السلمي. قال رحمه الله تعالى: تقريبا للحفظ والتحصيل فجاء الرجز- كما قال -. مع جزالة اللفظ، وبيان المعنى. كثيرالفوائد. محصلا للمعنى الشارد، ومقربا للناء المتباعد...".

وإصلاح عيوب النفس وعلاجها عن طريق المجاهدة الروحية يعتبر عند الصوفية السبيل الوحيد للسالك للتخلي والتحلي.

* التخلي والابتعاد عن المحرمات، والموبقات، وما يتنافى مع مكارم الأخلاق.

* ثم التحلي والالتزام بالطاعات، ومكارم الأخلاق قصد الترقي بالنفس عبر مراتب الكمال والصفاء الروحي. من النفس الأمارة بالسوء؛ إلى النفس اللوامة. ثم النفس المطمئنة الراضية.

والشيخ أحمدزروق كغيره من الصوفية يرى بأن تقويم اعوجاج النفس يكون بالمجاهدة ومعارضة أهوائها وصدها عن شهواتها، والإعراض عن وساوسها؛ لأن أصل كل معصية هو الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة اتهامها وعدم الرضا عنها.

وإذا كان علم النفس ومعرفة طبائعها وأخلاقها يعتبر من أعز علوم المتصوفة؛ فإنه من خلال الأرجوزة هذه يتضح أن الشيخ أحمد زروق مختص في علم النفس حسب مدرسة أهل التصوف عارف بأحوال النفس المذمومة، ومكرها وخفايا شرها، وطرق علاجها وتطبيبها؛ فقد ذكر في الأرجوزة تسعا وستين عيبا أو مرضا من عيوب وأمراض النفس الأمارة بالسوء، وطريقة علاج كل مرض من تلك الأمراض. حيث نراه يصف الدواء والعلاج المناسب لكل داء؛ وهو ما يؤكد علو كعبه وباعه الطويل ومنزلته العالية كشيخ مرب عارف بمكامن النفوس وأدوائها وطرق علاجها.

وإتماما للفائدة حرصنا في هذا الكتاب على تقديم الأرجوزة مع تذييلها بنص رسالة السلمي في عيوب النفس الواردة في مخطوط المكتبة العامة بالرباط تحت رقم: 16 ك ضمن مجموع ابتداء من ص: 247. فلم: 2394

وكذا مخطوط 1810 د ضمن مجموع من ص: 120 إلى ص: 125. بنفس المكتبة.

المحقق:

الشيخ الأستاذ محمد طيب

حفيد الشيخ أحمد زروق

النفس عند الصوفية،

وعند الشيخ أحمد زروق

تطلق النفس عند الصوفية على الجزء الدنيوي المادي المرتبط بالشهوات والغرائز والميول المنحطة في الإنسان؛ ولذلك اعتبروها عنصر الشر في تكوينه؛ فهي مناقضة للروح التي تدل على الجزء الخالد المتعالي في الإنسان.

وإذا كانت الروح بطبيعتها طاهرة فإنها بحلولها في عالم الأجساد تصبح سجينة المادة وتنسى ما جلبت عليه من خير نتيجة انغماسها في عالم الشهوات المادية الجسدية لتجرف صاحبها إلى الشر وتبتعد به عن الخير والعمل الصالح؛ فهي كالحصان الجامح -حسب تعبير الشيخ زروق -؛ لذا وجب الأخذ بلجامها وردعها عن الانفلات والفساد لأن النفس إذا ما غفل صاحبها عن مراقبتها وأطلق لها العنان بدت شرارتها وظهر خطرها وأصبح من المستحيل التحكم فيها؛ وبذلك تكون النفس بهذا المعنى عند المتصوفة أعدى عدو الإنسان تتكالب عليه بمساعدة الشيطان لتلقي به في أتون الرذيلة وتدفعه بإلحاح إلى إرضاء شهواتها ومطالبها وميولها المنحرفة وأهوائها الجارفة غير المنتهية لأنها كما قال البوصيري:

والنَّفس كالطفل إِنْ تهمله شب علَى ... حب الرِّضاع وَإِن تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وَحاذر أن توليه ... إِن الهوَى مَا تولَى يصم أَوْ يضم

هذا ولقد رد الصوفية أصل كل داء ومعصية وفساد إلى النفس.

قال ابن عطاء الله في الحكم:

" أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها".

وقال: "لا يخاف عليك أن تلبس الطرق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك".[1]

ويقول الشيخ زروق في شرح الحكم معلقا على كلام أبن عطاء الله:[2]

" علامات الرضى عن النفس ثلاث: رؤية الإنسان لنفسه، والشفقة عليها، والإغضاء عن عيوبها بتزكيتها من حيث إنه يرى قبيحها حسنا بالتأويل لا أنه يعلم العيب ثم يغضي عنه وإن كان نوعا منه "

" وعلامات السخط عن النفس ثلاث: اتهامها، والحذر من آفاتها، وحملها على المكاره في عموم أوقاتها".

فالنفس أصل كل داء لأنها تحسن القبيح وتحث عليه، وتنفر من الحسن وتخلق الأعذار لتركه وهجره، ومن اتهم نفسه وأساء الظن بها بحث عن عيوبها ورام تطبيبها.

قال أبو حفص الحداد:[3]

" من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه فهو مغرور؛ ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه؛ وقد قال الله تعالى حكاية على لسان نبيه يوسف: (وما أبريء نفسي إن النفس

---

(1) الحكم العطائية ص: 56.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.ص:57

لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)[1].

وقال بعض الصوفية: "نحت الجبال بالأظافر أيسر من زوال الهوى إذا تمكن".

فشرور النفس عند الصوفية أخطر من وساوس الشيطان وغوايته على الإنسان؛ لأنها تحسن القبيح وتحث علي فعله،وتفرمن الحسن وتتكاسل عن القيام به؛ لذا طلبوا من المريد أن يجاهدها ويكبحها وأن لا ينساق لأهوائها أو يغضي عن عيوبها.

هذا ولقد تأثر الشيخ زروق بأقوال الصوفية من النفس ومواقفهم من مكامن شرورها ومواطن شهواتها؛ وبالتالي طرق رياضتها وسياستها ومعالجتها؛ فهو يرى بأن النفس مليئة بالعيوب وبأن هوى النفس أخطر من الشيطان ووساوسه؛ لذا نجده ينصح أتباعه باتهامها وعدم الرضى عنها، والحذر من آفاتها وحملها على ما تكره والابتعاد عما تحب وتهوى؛ لأن من اتهم نفسه وأساء الظن بها بحث عن عيوبها ورام علاجها وتطبيبها؛ وبذلك يصفوا باطنه ويعرف ربه.

ولقد ميز الشيخ زروق بين الروح والقلب والنفس كما فعل الصوفية؛ وإن كان يميل إلى اعتبارها شيئا واحدا، وإن اختلفت مراتبها حسب ترقيها وصعودها في مدارج الكمال:

* فالروح عند الشيخ زروق – كما عند بقية الصوفية- تعني "النفس الطاهرة" قبل ولادتها أي عندما كانت في عالم الأرواح حيث كانت نفسا طاهرة، وهي تدل على الجزء الخالد المتعالي في الإنسان، وقد يعبر عنها بالقلب الذي هو محل الطهر والنقاء؛ فلما علقت بالأجسام وأصبحت سجينة

(1) سورة يوسف الآية: 53.

المادة وتعلقت بالشهوات فقدت طهارتها ونقاءها وصفاءها[1]؛ فهي تتلون بحسب ما يطرأ عليها من تغيير وتقلبات، وتتخذ في ذلك أشكالا ثلاثة: نفس أمارة، ونفس لوامة، ونفس مطمئنة. حسب ما ورد في القرآن الكريم.

* فالنفس الأمارة (ويقابلها القلب الميت) هي التي تأمر صاحبها بالسوء واقتراف المعاصي والذنوب والمنكرات، وتستثقل الطاعات وتنفر منها. حيث تصبح أسيرة المعاصي والموبقات وتتحكم فيها مصداقا لقوله تعالى:(أفرايت من اتخذ إلهه هواه)؛ وهي عند زروق بطبعها مليئة بالعيوب والنقائص، "ولا حديث عليها ولا عهد لها، والحق عليها أثقل من ثقيل"[2]؛ لذا يجب على كل إنسان أن يفتش باستمرار عن عيوب نفسه ويتعهدها بالتقويم والتزكية ليأمن غدرها، وحتى لا تعود من جديد فاغرة فمها لتلتقط كل حسناته وتعيده من جديد إلى حمأة المعاصي والذنوب والآثام،وهو بهذه التخلية والتزكية يستطيع أن يسلك الصراط المستقيم الذي يوصله لمرضاة ربه.

والنفس المقصودة في أرجوزة عيوب النفس ودواؤها هي النفس الأمارة بالسوء التي ينصحنا الشيخ زروق بمجاهدتها ومخالفتها وترويضها وكبحها ومعارضة ما توحي به من سوء ومراقبتها باستمرار.

* والنفس اللوامة (ويقابلها القلب الحي المريض) هي التي تستيقظ بعد غفلتها وتلوم صاحبها على ما اقترف من معاصي وآثام، وهي مرحلة تمر بها النفس الأمارة في بداية توبتها وتطهيرها وعودتها عن أهوائها، وهي نفس زئبقية متلونة ومترددة بين الخطأ والصواب حيث تخطيء أحيانا فتلوم صاحبها على الخطأ وتتوب أحيانا فترضى بذلك وتعقد العزم غلي الاستمرار على

(1) عدة المريد الصادق.

(2) شرح الحكم.

التوبة، وهي المشار إليها في سورة القيامة.

* أما النفس المطمئنة بدرجاتها المختلفة: "الملهمة- الراضية- المرضية- الكاملة- المطمئنة -". (ويقابلها القلب الصحيح الحي)؛ فهي التي عادت وأنابت إلى ربها بعد صراع طويل بين النفس الأمارة والنفس اللوامة؛ فتغلبت الثانية على الأولى وآبت عن جميع الغوايات، وأقلعت عن المعاصي ورضيت بشريعة الله تعالى أمرا ونهيا، واقتدت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا، ووصلت إلى شاطئ النجاة فاستقرت به راضية بحكم الله وقضائه وقدره.

قال زروق: "... فالنفس المطمئنة ما كان لها نور تهتدي به[1]، والنفس اللوامة ما لم يكن لها هذا النور فتخطيء تارة وتصيب أخرى؛ أما النفس الأمارة فلا حديث عليها ولا عهد لها، والحق عليها أثقل من ثقيل ... ويستعان عليها بقصد المخالفة أبدا ...

والنفس اللوامة أعظم رتبة عند الله تعالى لأنه أقسم بها في قوله تعالى:(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)[2]، وسميت لوامة لأنها تلوم صاحبها على ما ارتكب من قبائح وتحاسبه عليها؛ فإذا أحرق لهيب الندم والتوبة أدرانها وطهرت وزكت صارت نفسا مطمئنة بشهود الحق بلا واسطة راضية بحكم ربها وقضائه وقدره منقادة لحكمه"[3] قال تعالى:(يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك

(1) عدة المريد الصادق، ويشير بكلامه إلى قوله تعالى: (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

(2) سورة القيامة الآية: 21

(3) شرح زروق للحكم

راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)[1].

ولقد نبه الشيخ زروق إلى عيوب النفس وكيفية علاجها؛ إذ ليس هناك بالإضافة إلى الشيطان أخطر على الإنسان من أهواء النفس. هاته النفس التي تلبس على الإنسان الحقيقة وتزين له المعصية بطرق كثيرة وتبرر له كل خطيئة وتحسن له القبيح؛ وقد قيل: "لدغ الزنابير على الأجسام المتقرحة أيسر من لدغ الشهوات عاى القلوب المتوهجة".

والنفس عند الشيخ زروق تختلف باختلاف الأقاليم والأجناس؛ وهو يفرق بين عيوب النفس التي ترتبط بشهوات الجسم، وعيوب القلب التي ترتبط بالشهوات المعنوية كالحسد والحقد وحب الجاه والرياسة...الخ.

ولقد تعرض الشيخ زروق في مؤلفاته العديدة لمعالجة النفس إلا أنه أفرد كتابه "إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين"[2] لهذا الغرض. حيث نجده يحدد الهدف من تأليفه لهذا الكتاب في: "معالجة القلب – بالمعنى الصوفي –؛ لأن القلب أساس الخير والشر، وموته وحياته مفتاح النفع والضر.

والقلب عند الشيخ زروق إما صحيح أو ميت أو مريض.

" – فالقلب الصحيح صاحبه ينطق بالحكمة وينهض في كل ملمة.

– والقلب الميت لا حياة فيه ولا يقبل التذكير والتنبيه فضلا عن اتباعه الحق، أو تأدبه مع الخلق.

---

(1) سورة الفجر الآيات: 27 و 28 و 29 و30.

(2) ألف الشيخ زروق كتابه (إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين) أثناء مقامه بدواره البور/ لجاية. حيث انتهى من تأليفه يوم الرابع والعشرين من شهر شوال سنة 883 هجرية؛ وهو ابن السابع والثلاثين من عمره.

- والقلب المريض الذي تتصارع فيه الموت والحياة؛ وهو الذي يقصد بالمداواة ويرصد بالمعاقاة رجاء استقامة حياته أو توقيف العلة حتى لا تؤدي لمماته".

وكأي صوفي خبير ومربي كبير يقسم الشيخ زروق القلوب المريضة إلى ثلاثة أقسام:

" - قلب تكون الحياة فيه أقوى من المرض وهو أسهلها علاجا (لأنه قلب تكون الحياة غالبة عليه والمرض تابع).

- قلب يغلب المرض فيه على الحياة (وهو من العوارض المخيفة).

- قلب تتكافأ فيه الصحة والسقم بحيث يمكن تقوية أحدهما: "حيث تغلب الصحة أو المرض"؛ وهو أصعبها علاجا لأنه العلة المعضلة.

أما العلة أو المرض فإن الشيخ زروق يرى بأنه يمكن اكشافها بأمور ثلاثة:

- أولها: الأعراض البادية التي تظهر على أفعال الجوارح.

- الثاني: السبب الأصلي الذي تنبيء وتكشف عنه حركات القلوب.

- الثالث: المواد الوصلة التي تظهر في خواطر النفوس وما تميل إليه بالاختيار خيرا أو شرا.

وحيث أن القلب أساس الخير والشر وموته وحياته مفتاح النفع والضر؛ فإن الشيخ زروق يرى بأنه: "لا بد من فحص القلوب وتمييزها حتى تسير على بينة من أمرها وهدى من ربها؛ وهو يطرح القلب المعافى من حسابه لأن صاحبه ينطق بالحكمة وينهض في كل ملمة؛ كما يسقط القلب الذي لا حياة فيه لأنه لا يقبل التذكير والتنبيه، ويوجه اهتمامه كله إلى القلب المريض الذي تتصارع فيه الحياة والموت؛ وهو الذي يقصد بالمداواة ويرصد بالمعاناة رجاء استقامة حياته، أو توقيف العلة حتى لا تؤدي لمماته".

ودخول العلة على القلب الساذج – عند الشيخ زروق – سهل العلاج لأنه إذا صح انتفى المرض منه وتمكنت الحقيقة منه.أما القلب الذي يعتريه السقم بعد الصحة ويرجع إلى الغي بعد الرشاد فإنه يكون متقلبا بين الخير والشر.

لذا ينصح الشيخ زروق بعدم الاغترار بما وصل إليه الإنسات من الكمال، وأن يداوم مراقبة نفسه ويجدد التوبة في كل لحظة، ويعالج نفسه بما يراه صالحا لتطبيبها.

وعلاج القلب الموثر لهواه المعرض عن مولاه يكون عند الشيخ زروق بثلاثة أشياء:

* أولها: حمية البدن بالتقليل من الطعام على وجه لا يخل بالفكرة ولا المنام؛ لأن قلبه يصفو بذلك.

* الثاني: استنشاق روائح الصدق بمخالطة أهله؛ فإن لم يوجد الحي فأخبار من يعرف بمحله.

* الثالث: استعمال الدواء النافع بتذكار المهالك والمقاطع؛ ففي ذلك عنوان له على التوبة، والإنابة، والطاعة؛ ومما يساعد على ذلك: الخلوة – زيارة المقابر- لزوم الاستغفار – الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

فبالتقليل يصفو قلبه، وبمخالطة أهل الخير يشتاق لله، وبالتذكار يعينه ربه. إذ أن الله يعين العبد على قدر نيته ويفتح له على قدر همته.

هذا ولقد نبه الشيخ زروق إلى عيوب النفس وكيفية علاجها؛ إذ ليس هناك بالإضافة إلى الشيطان أخطر على الإنسان من أهواء النفس. هاته النفس التي تلبس على الإنسان الحقيقة وتزين له المعصية بطرق كثيرة وتبرر له كل خطيئة وتحسن له القبيح.

عموما فإن الإنسان التائب يمر بثلاث مراحل:

* التخلي من موبقات الماضي وذبوبه وآثامه.

* التحلي في الحاضر بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم.

* التجلي: أي المعرفة الحقيقية بموقع الربوبية من الوجود وأنه "ليس على الحقيقة إلا الله".

وتزكية النفس المستمرة وتحليتها الدائمة تؤدي إلى تطهير القلب (الرمز الروحي للإنسان)، وتهيؤه لتقبل المعرفة والنور الإلهي؛ لأن الله لا ينظر إلى صورنا ولكن ينظر إلى قلوبنا كما ورد في الحديث، ولأن القلب هو أصل الخير أو الشر ومحل النور أو الظلمة؛ وتكون المراقبة دائما وفي جميع الأوقات باللجوء إلى الله وتجديد التوبة دائما وردع النفس من كل ما توسوس به.

عموما فإن النفس البشرية مترددة بين الشكر والكفر مصداقا لقوله تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا).

وإذا كان من الصعب التحكم في النفس أو مراقبتها لكثرة تلونها وخدعها؛ فإن السبيل لردعها وقهرها وتهذيبها وترويضها هو الإعراض عن وساوسها وعدم الاستجابة لمطالبها ورغباتها مما يؤدي إلى خمولها وضعف نزواتها وإماتتها والقضاء على نوازع الشر فيها.

وما دامت النفس أصل كل داء ومعصية؛ فإن المرء يحتاج إلى معرفة عيوبها حتى يعمل على التخلص منها.

موقف الأئمة من التصوف

- قال الإمام مالك: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق" **حاشية العدوي على شرح الزرقاني.**

- قال الإمام الشافعي: "حبب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف".

- قال الإمام أحمد؛ وقد سئل عن التصوف: "لا أعلم أقواما أفضل منهم".

غذاء الألباب شرح منظومة الآداب. ج 1. ص 120

- وقال الإمام أحمد وهو يوصي ابنه عبد الله:

" يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم – يعني أهل التصوف -؛ فإنهم زادوا علينا يكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة".

تنوير القلوب لأمين الكردي ص: 405

تحقيق

أرجوزة

عيوب النفس

يَقُــولُ رَاجِــي رَحْمَــةِ الغَفَّــارِ   أَحْمَــدُ نَجْــلُ أَحْمَــد الخَــضَّارِ[1]

(1) هو أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الخضار بن سيدي عيسى البرنسي.التفرنوثي البوري الورياكلي أصلا وولادة. الفاسي نشأة ودارا وقرارا. المشهور بزروق.
لقب أبوه وجده بالخضار لأرض سقوية كانت لهما، وكانا يزرعانها بالخضر ويكثران من الصدقة منها؛ فأسرة زرو ق رغم اهتمامها بطلب العلم، واشتهارها بالولالة؛ فإن ذلك لم يمنعها من الارتباط بأرضها والاهتمام بها؛ (فالعلم للدين والعمل للدنيا) كما كانت جدة الشيخ أحمد زروق تقول لحفيدها أحمد في تربيته أثناء صغره.
ومما يدل على مكانة أب الشيخ أحمد زروق العلمية ما ورد في كتاب قبيلة بني زروال لمحمد البشير: "ومما وجدناه مقيدا بخط الشيخ أبي حامد الدرقاوي ما نصه: "ومما وجدناه مقيدا بخط الفقيه الأجل سيدي محمد بن محمد البرنوسي، وكان أعرف الناس خاصة وعامة بنسبنا..."؛ فالشيخ العربي الدرقاوي الذي ينتمي إلى قبيلة بني زروال المجاورة لقبيلة بني ورياكل يصف أب زروق بالفقيه الأجل؛ وفي ذلك إشارة إلى مكانته العلمية.

البُرنُـــــسِيِّ الأَصْـل ثُـمَّ الفَاسِـي المَــشْهُور زَرُّوق بَــيْنَ الــنَّاسِ[1]

(1) البرنسي: أصلا نسبة إلى حي البرانس من دوار خد البغال قبيلة بني ورياكل الجبيلة بشمال مدينة فاس بالمغرب لا إلى قبيلة البرانس بعمالة تازة؛ - كما ذهب إلى ذلك كل من ترجم له خطأ -؛ وإذا كان الحي قد اندثرت معالمه لخلوه من السكان بعد انتشار الطاعون به؛ فإن المكان مازال يعرف بهذا الإسم إلى الآن، وهو في ملك أسرة الكاتب.

الفاسي: دارا ونشأة ودراسة.

زروق: اكتسب هذا اللقب من جده لأمه، وما زالت هاته الصفة الوراثية تظهر في حفدة الشيخ زروق بالدوار (أبناء عمة وخال الكاتب)؛ كما أن سكان اجبالة بالمغرب يطلقون هذا اللقب إلى الآن على كل شخص أزرق العينين، فيقال عنه "زروق".

صفاته:

كان رحمة الله عليه

* قمة في التواضع على عادة كبار العلماء لا ينسب لنفسه علما أو تفوقا أو مشيخة على الغير.

* منصفا يعترف بفضل أساتذته وشيوخه عليه حيث نجده يشيد بهم في غير ما موضع؛ كما كان ينسب الأقوال إلى أصحابها ويعتبر ما عدا ذلك سرقة (كتابة القاعدة المناسبة للموضوع).

ومما نسب إليه محمد الكوهن في طبقات الشاذلية الكبرى أنه قال: "شرحت الحكم ستة وثلاثين شرحا، فأبى الله إلا ابن عباد في الظهور والاستعمال"؛ وهو كلام لا يصدر إلا عن عالم منصف ومتواضع.

وكان رضي الله تعالى عنه شديد الحرص على أن لا يعتقد الناس بصلاحه أينما حل، ويحتمي في ذلك بالأسباب التي كان يتخذها لكلب رزقه، وأهم هاته الأسباب لما كان بالمغرب:

- **تعلمه الخرازة وهو صغير، واشتغاله بها مدة ست سنوات بعد موت جدته.**
- **الأموال التي التي كانت تدرها عليه الممتلكات التي تركها له أبوه وجدته بالبادية.**
- **اشتغاله بالتدريس بفاس ما بين سنة 868 و 873 هجرية؛ ومع ذلك كان يحرص على خدمة المريدين والشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم.**

=

....

=

أما بعد ذلك فكانت موارده يعتمد فيها على استنساخ كتبه وبيعها أو تقديمها هدية وإثابتها عليه.

قال أبو الحسن الشاذلي: "من اكتسب وقام بفرائض الله تعالى؛ فقد كملت مجاهدته "

التكوين الصوفي الفقهي للشيخ أحمد زروق

تربى الشيخ زروق على يد جدته الفقيهة الصالحة أم البنين وثلة من فقهاء وفقيهات أسرته التي كان أفرادها يجمعون بين العلم والعمل – شأن معظم علماء المغرب آنذاك -؛ وهكذا نشأ محبا للعلم ملازما للعبادة والأذكار[1]

إن التربية المتكاملة التي نشأ عليها والقائمة على تطبيق الشريعة واحترام تعاليمها، وعلى الزهد الذي كان يترجم بكل تواضع مقام الإحسان، ويعكس حالة المجتمع المغربي العالم المتدين آنذاك؛ الذي لم يتخل عن الشريعة ليستقبل التعاليم الصوفية الاستشراقية الوافدة من المشرق، أو ينتصر لمذهب الصوفية على حساب الفقهاء، وهي السمة البارزة للبيئة العلمية السائدة بالمغرب عموما وبمدينة فاس العاصمة السياسة والعلمية آنذاك على وجه الخصوص.

لقد سار الاتجاه الفقهي والصوفي في تكوين الشيخ زروق جنبا إلى جنب؛ فهو لم يبتدئ فقيها لينتهي صوفيا، ولم يبتدئ صوفيا لينتهي فقيها؛ بل إن الاتجاهين الفقهي والصوفي سارا جنبا إلى جنب في تكوينه وبالتالي في جميع كتبه بعد ذلك. يؤثر أحدهما على الآخر ويكمله ولا يلغيه ليشكل المدرسة الفقهية / الصوفية الزروقية القائمة على التكامل بين الشريعة والحقيقة.

=

(1) قال عنه الحسن بن محمد الكوهن الفاسي في كتابه: "طبقات الشاذلية الكبرى" بحر العلوم والمعارف. أستاذ كل مجذوب وسالك وعارف. القطب الرباني والهيكل الصمداني... كان رحمه الله عالما عاملا. زاهدا ورعا. نشأ محبا للعبادة ملازما للأذكار...".

....

" ففقيه دون تصوف فسق، وتصوف بدون فقه زندقة...".

ولقد ساعد الشيخ أحمد زروق على التأليف والتوفيق بين الشريعة والحقيقة:

- ثقافته الواسعة؛ فهو فقيه متبحر خصوصا في المذهب المالكي، وكتبه في هذا المجال أكبر دليل على ذلك.
- تجربته الصوفية الواسعة التي ترقى فيها من مريد سالك إلى شيخ طريقة مربي.[1]

لذا نجد الشيخ أحمد زروق في كتبه ورسائله يزاوج بين الشريعة والحقيقة، ويقرب بين الفقه والتصوف ويربط السلوك بالفقه، أو العمل بالشريعة التي هي أساس السلوك عند الشيخ زروق.

ورغم أن الشيخ أحمد زروق قد نشأ وتربى تربية روحية، وأخذ التصوف عن شيوخ مغاربة؛ فإنه تأثر بالفكر الصوفي المشرقي وأخذ عن كثير من مشايخه؛ لذا نجده يقف أيضا موقفا معتدلا من التصوف الاستشراقي، وذلك بعدم مهاجمته والميل إلى التسليم؛ بل يذهب لأكثر من هذا حيث يرى بأن لكل فرقة وطائفة تصوف يليق بها: =

---

(1) يمكن معرفة أساتذته وشيوخه بالرجوع إلى:

* كناشة الشيخ زروق.
* كتاب الشيخ زروق للمؤلف.

وفي هذا المجال يذكر الخروبي في كتابه: "شرح عيوب النفس". مخطوط المكتبة العامة الرباط رقم: 2691 د. أن الشيخ زروق أخذ علوم الظاهر عن ستة وعشرين عالما، وعلوم الباطن عن سبعة وثلاثين شيخا.

انظر تحقيق نسب الشيخ أحمد زروق مفصلا في كتاب: الشيخ أحمد زروق.محتسب الأولياء والعلماء. للأستاذ: محمد طيب:

* الطبعة الأولى. نشر دار الثقافة للطباعة والنشر. الدار البيضاء المغرب. طبعة 2005 م.
* **الطبعة الثانية. نشر دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع بمصراتة ليبيا. سنة 2008 م.**

- مرحلة تصحيح الفكر الصوفي المغربي (النصيحة – عدة المريد الصادق –...".

....

" فتصوف الفقيه... إلخ".

هذا ويمكن القول بأن تصحيح الفكر الصوفي المغربي كان على يد الشيخ زروق. حيث مر في ذلك بثلاث مراحل:

- مرحلة وضع الأسس والقواعد (قواعد التصوف – الإعانة).

مرحلة رسم أسس الطريق الصوفي السني (أسس الطريق – رسائله في الموضوع – الوظيفة).

الحَمْـــدُ لِلهِ الَّـــذِي قَـــدْ عَـــرَّفَا مَعَايِـــبَ الـــنَّفْسِ لِأَهْـــلِ الـــصَّفَا[1]
فَاطَّلَعُـــوا عَلَـــى كَمِـــينِ غَـــدْرِهَا وَانْتَـــبَهُوا فِـــي شَـــأْنِهِمْ لِمَكْـــرِهَا[2]

(1) أهل الصفا: الذين جاهدوا أنفسهم وطهروها مما يعيبها ويكدرها، ويحول بينها وبين الرقي في مدارج الكمال والصفاء الروحي. قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)؛ فالشيخ أحمد زروق يميل في البيت إلى اشتقاق التصوف من الصفاء.
ورجال التصوف يفرقون بين النفس الأمارة بالسوء، والروح التي صفت وطهرت من كل ما يكدرها من عيوب؛ وهي كثيرة كما سيأتي بيانه والإرشاد إليه.

(2) كمين غدرها: ما خفي من عيوبها ومكرها؛ فالنفس الأمارة بالسوء تلقي بصاحبها في مواطن الهلاك والردى عن طريق المكر والخداع وتزيين فعل السوء وتحسينه في نظر صاحبه؛ ألم يقل الله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)، ولقد زين إبليس لآدم المعصية قائلا: (ما نهاكما ربكما عن تلكم الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) سورة الأعراف من الآية 19
وقال لآدم في معرض آخر: (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) سورة طه من الآية 117إغواء واستدراجا.

وَأَدْرَكُـــوا مَكَـــامِنَ العُـــيُوبِ وَاسْـتَعْمَلُوا أَدْوِيَـةَ المَطْلُـوبِ[1]

لِأَجْلِ مَـا خُـصُّوا مِـنَ التَّوْفِـيقِ وَالنَّظَـــرِ الـــسَّدِيدِ وَالتَّوْفِـــيقِ

تَيَـــسَّرَ العَـــسِيرُ مِـــنْهَا لَهُـــمْ وَبَـانَ مَـا كَـانَ لَـدَيْهِمْ مُـبْهَمُ[2]

فَـــنَهَجُوا مَـــنَاهِجَ الطَّـــرِيقَة وَوَرَدُوا مَـــوَارِدَ الحَقِـــيقَة[3]

ثُـــمَّ صَـــلَاتَهُ عَلَـــى المُخْـــتَارِ وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ الأَخْـــيَار

وَبَعْـــدَ هَـــذِهِ فُـــصُولٌ مُجْمَلَـــةٌ تَهْـدِي لِمَـــا وَراءَهَـــا مُحَـــصِّلَهْ

لِمَـــا أَتَـــى بِـــهِ الإِمَـــامُ الـــسُّلَمِي[4] فِـــي جُـــزْئِهِ المُحَـــرَّرِ المُنْـــتَظِمِ

---

(1) مكامن العيوب: مواطن وأماكن العيوب الخفية التي لا يتفطن لها إلا أهل الصفاء، فأعدوا لكل عيب دواء، ولكل وسوسة رادع من قول أو فعل أو إعراض. مع التمسك الدائم بالاعتقاد الصحيح؛ لأن طول المجاهدة للنفس جعلهم على بينة من أمرها بتوفيق من الله تعالى، وعلى بينة تامة بدقائق أمورها التي غالبا ما تخفى على من سواهم؛ وفي ذلك إشارة إلى أهمية التربية الروحية وسلوك الطريق لمجاهدة الهوى والنفس والترقي بها في مدارج الكمال.

(2) مبهم: غامض وغير واضح.

(3) مناهج الطريقة: السبيل المبلغ للحقيقة التي هي مقام الإحسان.

(4) السلمي:هو أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراقة الأردي أبا. من أزد شنوءة. ولد يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الأخيرة سنة 325 هجرية (16 أبريل 936 م) ذكره الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء.
اشتهر بنسبته إلى سليم لأن والدته هي ابنة الصوفي الكبير أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم بن خالد السلمي نسبة إلى سليم القبيلة العربية المشهورة.
كان والد أبي عبد الرحمان شيخا ورعا زاهدا دائم المجاهدة له القدم العالي في علوم المعاملات صحب الكثير من الشيوخ؛ ورغم فقره فإنه تصدق بكل ما يملك عندما =

=

ولد له ولده محمد شكرا لله.
لما توفي والد أبي عبد الرحمان سنة 343 هجرية انتقل للعيش مع عائلة أمه، وكفله جده لأمه الولي الصالح ابن نجيد، ولم يكن له ولد ذكر فنسب إلى السلميين.
تعلم أبو عبد الرحمان بنيسابور وبدأ الكتابة على شيوخ عصره وهو طفل صغير، ولقد صرف همه لدراسة الحديث والتصوف عن شيوخ نيسابور. ثم رحل إلى العراق، والري، وهمدان، ومرو، والحجاز لكتابة الحديث ولقاء الشيوخ ومنهم:
أبو الحسن الدار قطني الحافظ، وأبو نصر السراج، وأبو القاسم النصر آبادي، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني حافظ أصباهن، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح النخعي والذي أكثر عنه الرواية في كتابه طبقات الصوفية، وأبو إسحاق الحيري، وأبو العباس الأصم؛ وكان أكثر الشيوخ تأثيرا قيه جده لأمه ابن نجيد.
ألف أبو عبد الرحمان السلمي كتبا كثيرة أشهرها: حقائق التفسير - الذي نحا فيه منحى صوفيا - وطبقات الصوفية.
توفي أبو عبد الرحمان السلمي بنيسابور سنة 412 هجرية.
بعد ما حمد الشيخ أحمد زروق الله على ما خص به أصل الصفاء "التصوف" من قدرة على معرفة مكامن عيوب النفس وأمراضها، ومعالجة كل عيب أو مرض بما يتطلبه من دواء نافع؛ وذلك بفضل طول مجاهدتهم والتزامهم سلوك الطريق الحق وشربهم من نبع الحقيقة الإلهية.
أردف بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه على عادة أهل الطريقة.
بعد ذلك انتقل لتقديم أرجوزته التي يقدم فيها نظما جامعا لما جاء في رسالة الإمام السلمي موضحا سبب إقدامه على ذلك، وهو:
* تقريب مضامين الرسالة برجز مفيد يسهل تقييده وبالتالي حفظه وتحصيله.
راجيا أن يكون عمله مفيدا للجميع مع احتساب أجره وثوابه من الله تعالى داعيا أن يكون خالصا لوجهه تعالى دون رياء أو سمعة أو طلب شهرة. مردفا مرة أخرى بالصلاة على النبي المصطفى والمختار محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم في الحب للرسول والتمسك يهديه.
هذا وبعد الحمدلة والتصلية انتقل الشيخ زروق لذكر عيوب النفس عيبا عيبا مع تقديم النصح لكيفية تجنب كل عيب على حدة، والدواء لمعالجة كل مرض من الأمراض النفسية.

قَـــرَّبْتُهَا بِرَجَــــزٍ مُفِـــيدِ لِلْحِفْـــظِ وَالتَّحْـــصِيلِ وَالتَّقْيِـــيدِ

أَرْجُـــو الإِلَـــه أَنْ تَكُـــونَ نَافِعَـــة مُفِـــيدَةً لِكُـــلِّ خَيْـــرٍ جَامِعَـــة

دَائِمَـــةَ الـــنَّفْعِ لِكُـــلِّ سَـــارِ مِـــنْ نَـــاظِمٍ وَكَاتِـــبٍ وَقَـــارِي

فَهُـــوَ حَـــسْبنَا تَعَالَـــى وَكَفَـــى ثُـــمَّ صَـــلَاتَهُ لِخَيْـــرِ مُـــصْطَفَى

مُحَمَّـــدٍ وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ وَتَابِعِـــيهِمْ أَبَـــداً فِـــي حُـــبِّهِ

السلمي

قال أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن موسى السلمي رحمه الله تعالى:

الحمد لله الذي عرف أولياءه أهل صفوته عيوب أنفسهم وأكرمهم بمطالعة غدرها وجعلهم أهل اليقظة والانتباه لموارد الأحوال ووفقهم لمداواة عيوبها ومكامن شرورها بأدوية تخفى إلا على أهل الانتباه لمعرفتهم بأدوائها واشتغالهم بمطلب دوائها؛ فسهل عليهم بذلك العسير بفضله وحسن توفيقه.

وبعد؛ فقد سألني بعض المشايخ أكرمه الله بمرضاته أن أخرج له فصولا في عيوب النفس يستدل بها على ما وراءها فأسعفته لطلبته وجمعت له هذه الفصول التي أسأل الله الكريم ألا يبعد عني بركتها؛ وذلك بعد أن استخرت الله واستوفيته وهو حسبي ونعم الوكيل؛ وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

هَـذَا وَحِـينَ أَبْـتَدِي فِـي مَـا أَرَدْتُ   وَأَفْـتَحُ المَعْنَـى الَّـذِي لَـهُ قَـصَدْت
قَــدْ أَخْبَــرَ الله بِــشُؤْمِ الــنَّفْسِ   وَمَــا لَهَــا مِــنْ عِلَّــةٍ وَلَــبْسِ[1]
فِــي يُوسُــفَ وَغَيْــرِهَا كَالجَاثِــيَهْ   وَالــنَّازِعَاتِ وَهــيَ آيٌ نَاهِــيَهْ[2]
عَــنِ اتِّــبَاعِ الهَــوَى وَالــنَّفْسِ   وَتَـرْكِ مُـوجِبِ الرِّضَـى وَالأُنْـسِ
وَفِـي حَـدِيثِ المُـصْطَفَى المُعَظَّـمِ   ثَلاثَــةٌ فِــي طَــيِّ طِــيْنٍ لِآدَمِ
وَهِــيَ الــبَلَاء وَالهَــوَى وَالــشَّهْوَة   فَلْتَعْتَــصِمْ بِــرَبِّنَا ذِي القُــوَّة
علَــى اصْــطِبَارٍ وَادِّكَــارٍ وَجِهَــادِ   لِكَـيْ تَـنَلْ بِـذاكَ غَايَـةَ المُـرَاد[3]
مُـشَمِّراً فِـي الـبَحْثِ عَـنْ عـيُوبِكْ   وَهَارِبــاً لِلهِ مِــنْ ذُنُــوبِكْ[4]

---

(1) لبس: تمويه وتضليل.

(2) يشير إلى قوله تعالى:

*(وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) سورة يوسف من الآية 53.

* (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأظله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون). سور الجاثية الآية 23.
* (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) سورة النازعات الآيات: 37/38/39/ 40/41.

قال الشاذلي في الحزب الكبير: "وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة " أي باعدنا عنها؛ فإن نقطة من الهوى تغطي بحرا من العلم.
قال البوصيري: إن الهوى ما تولى يعم أو يصم.
فالنفس متى ما أعطيتها شهوتها تمادت وتطلعت إلى الأخرى.

(3) اصطبار: شدة الصبر، وما يلاقيه من عنت عليه - ادكار: لزوم تذكر غوايتها باستمرار - وجهاد: مجاهدة النفس، وهو الجهاد الأكبر كما قال عليه السلام.

(4) مشمرا: مجتهدا.

فَلَــيْسَ لِلعَــبْدِ سِــوَى مَــولَاهُ ‏ ‏ ‏ ‏ وَهُــوَ الَّــذِي يُعْطِــيهِ مَــا يَهْــوَاهُ

السلمي

قال الله تعالى:(إن النفس لأمارة بالسوء)؛ وقال عز من قائل:(ونهى النفس عن الهوى) وقال:(أفرايت من اتخذ إلهه هواه...)؛ وفي هذه الآيات ما يدل على شرور النفس وقلة رغبتها في الخير.

حدثنا علي بن عمرو قال: قال لنا عبد الجبار بن شيراز. قال لنا أحمد بن الحسين. قال لنا أبو عاصم. قال لنا شعبة وغيره عن سلمة بن كهل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البلاء والهوى والشهوة معجونة بطين آدم".

مِـــنْ عَيْـــبِهَا تَـــوَهُّمُ الــــنَّجَاةِ بِالأَخْـذِ فِـي الأَذْكَـارِ وَالطَّاعَـاتِ

مَـــعْ أَنَّهَـــا مُقِـــيمَةٌ بِعَيْـــبِهَا مُـــصِرَّةٌ عَلَـــى عَظِـــيمِ ذَنْـــبِهَا

وَذَاكَ مِـــنْ جَهْـــلٍ بِأَمْـــرِ الـــدِّينِ وَمُوجِـــبَاتِ الفَـــتْحِ وَالتَّمْكِـــينِ

لِـــصَالِحِ المَـــرْءِ قَـــوْلُ أَصْـــلُهُ مَـنْ أَدْمَـنَ القَـرْعَ يُرجَـى الفَـتْحُ لَـهُ

قَالَـــتْ لَـــهُ رَبِـــيعَة العَدَوِيّـــة كَلِمَـــةً صَـــحِيحَةً قَـــوِيّة[1]

الـــبَابُ مَفْـــتُوحٌ وَأَنْـــتَ تَهْـــرُبُ مِـــنْهُ بِفِعْلِـــكَ فَكَـــيْفَ تَقْـــرُبُ

كَـيْفَ يَـصِلُ لِمَقْـصَدٍ مَـنْ أَخْطـا طَـــرِيقَهُ وَدُونَـــهُ قَـــدْ حَطَّـــا

وَكَـيْفَ يَـنْجُو مِـنْ عِـنَانِ شَـهْوَا تِــهِ أَرْخَــى لِنَفْــسِهِ وَحَــبْلَ غَفْلَــتِهْ

(1) رابعة العدوية: هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية مولاة آل عتيك. العابدة الصالحة المشهورة. توفيت عام 135 هجرية، وقبرها معروف بظاهر شرق مدينة القدس على رأس جبل الطور.

وجواب رابعة العدوية لصالح المري - وهو من كبار الصوفية. كان شديد الخوف من ربه. كثير البكاء - يدل على تمكنها، وعلو قدرها في علوم القوم.

ولعل مرور رابعة العدوية عليه كان في بداية زهدها، وترددها على المسجد لطلب العلم؛ فقال لها قولته حاثا لها على التردد على باب التوبة.

بعد حمد الله على ما خص به أهل الصفاء(التصوف) من قدرة على معرفة مكامن عيوب النفس وأمراضها، ومعالجة كل عيب أو مرض بما يتطلبه من دواء نافع؛ وذلك بفضل طول مجاهدتهم والتزامهم سلوك الطريق الحق انتقل الشيخ زروق لتوضيح هذه الأمراض وعلاج كل مرض.

1) وأول هذه الأمراض الإتيان بالعبادات والطاعات حسا لا معنى ودون النفاذ إلى مقاصدها الشرعية؛ وهي الابتعاد عن الفحشاء والمنكر وتجنب الموبقات. حيث أنه يتكل على أعماله الصورية الخالية من روح الإخلاص، ويعتقد أنها ستنجيه وتدخله الجنة وينسى رجاء رحمة ربه؛ وقد قال عليه السلام: "لن يدخل أحدكم الحنة بعمله.قالوا: ولا أنت يارسول الله. قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته".

دَوَا هَـذَا المَـرَضِ الَّـذِي عَـدَا ... الأَخْـذُ بِالتُّقَـى مَـع طِـيبِ الغِـذَا

قَـالَ حَكِـيمٌ وَهُـوَ قَـوْلٌ حَـسَنُ ... مُـتَّجِهٌ مُحَقَّـقٌ مُبَـيَّنُ

لَا تَطْمَـعِ الـنَّجَاةَ مَـع ذُنُـوبِكْ ... وَلَا تُرَجِّـي الـصَّفْوَ مَـع عُـيُوبِكْ

السلمي

فمن عيوب النفس: أنها تتوهم أنها على باب نجاة تقرع الباب بفنون الأذكار والطاعات والباب مفتوح ولكنه أغلق على نفسه باب الرجوع بكثرة المخالفات؛ كما أخبرني الحسين بن عياض قال: سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت أبا مسروق يقول: مرت رابعة العدوية بمجلس صالح المري؛ فقال صالح: من أدمن قرع الباب أوشك أن يفتح له؛ فقالت رابعة: الباب مفتوح وأنت تفر منه؛ فكيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق إليه في أول قدم وكيف ينجو العبد من عيوب النفس وهو الذي أطلق لها الشهوات؛ أم كيف ينجو من اتباع الهوى؛ وهو لا ينزجر عن المخالفات.

سمعت محمد بن حمدان يقول: سمعت محمد بن اسحاق الثقفي يقول سمعت ابن أبي الدنيا يقول قال بعض الحكماء:" لا تطمع أن تصحو وبك عيب،ولا تطمع أن تنجو وعليك ذنب".

ومداواة هذه الحالة ما قاله سري السقطي؛ وهو سلوك سبيل الهدى وطيب الغذاء وكمال التقى.

مِـنْ عَيْـبِهَا إِذَا بَكَـتْ تَفَـرَّجَتْ مِنْ حُزْنِهَا وَاسْتَرْوَحَتْ وَابْتَهَجَتْ

وَذَاكَ مِـنْ مَـيْلِهَا لِلـرَّاحَة وَطَلَـبِ العَـبْدِ لِلاسْـتِرَاحَة

دَوَاؤُهُ بُكَـاؤُهُ فِـي الحُـرْنِ[1] عِـوَضَ مَـا يُبْكِـيهِ لِأَجْـلِ الحُـزْنِ

إِذْ مَـنْ بَكَـى مِـنْ حُـزْنِهِ يَـسْتَرْوِحُ وَبِالْـبُكَا فِـيهِ تَـزِيْدُ التُّـرَحُ[2]

السلمي

ومن عيوبها إذا بكت هاجت به واستروحت.
ومداواتها: ملازمة الكمد حتى لا يتفرغ إلى الاستراحة؛ وهو أن تبكي في الحزن، ولا تبكي من الحزن؛ فإن من بكى من الحزن يستروح من بكائه، ومن بكى في الحزن يزيده البلاء كمدا وحزنا.

(1) الحرن: العصيان وعدم الانقياد.

(2) الترح: الأحزان.

وثاني عيب للنفس تخلصها من همومها بالبكاء؛ لأن ذلك يريحها مما تجد من حزن أو ضيق، وهي عادة الكثير من الناس؛ وفي ذلك استدراج من النفس والشيطان لأن الإنسان يعتقد ببكائه أنه يطهر نفسه مما ارتكب من إثم، أو أنه يفعل ذلك ندما وتوبة، وفي الحقيقة فإن النفس تميل إلى البكاء عندما تهجم عليها الهموم طلبا للترويح والتنفيس وليس ندما أو طلبا للتوبة.إذ المطلوب عند الحزن الصبر على البلاء وليس الجزع والبكاء.

هذا ولقد اشتهرت فرقة من الصوفية بالبكائين لاتخاذهم البكاء وسيلة للندم وطلب التوبة.

ودواء هاته الآفة أن يحمل الإنسان نفسه على البكاء حملا ويدفعها إليه دفعا عندما تمتنع عن ذلك لأن البكاء لمجرد الاستروح يشجع النفس على الوقوع في المعاصي من جديد.فضلا عن الرياء الذي ينجم عنه.

مِـنْ عَيْـبِهَا رَجَـاءُ نَفْـعِ الخَلْـقِ ... وَخَـوْفَهُمْ أَيْـضاً، وَهَـمُّ الـرِّزْقِ

وَذاكَ مِـنْ غَلَـبَةِ الأَوْهَـامِ ... وَالـضَّعْفِ فِـي اليَقِـيْنِ وَالأَفْهَـامِ

لِأَنَّ مَـنْ يَفْهَـمُ عَـنْ مَـوْلَاهُ ... لَا يَرْتَجِـي لِـشَأْنِهِ سِـوَاهُ

دَوَاؤُهُ بِـصِحَّةِ الإِيمَـانِ ... وَعَـدَمِ النَّظَـرِ لِلْأَكْـوَانِ

وَفِكْـرِهِ فِـي عَجْـزِهَا وَقَهْـرِهَا ... وَعَـزْلِهَا عَـنْ نَفْعِهَـا وَضَـرِّهَا

إِذْ مَـنْ بِـهِ الحَاجَـةُ لَـمْ يُـوَاتِهْ ... فِـي غَيْـرِهِ مَـا فَاتَـهُ مِـنْ ذَاتِـهْ

وَهَمُّـهُ بِـرِزْقِهِ عَـذَابُ ... يَفُـوتَهُ بِفِعْلِـهِ الـصَّوَابُ

مَـعْ ضَـمِانِ رَبِّـنَا لِـرِزْقِهِ ... وَرِزْقِ كُـلِّ دَابَـةٍ مِـنْ خَلْقِـهِ[1]

فَمَـنْ يَكُـنْ يَهْـتَمُّ بِـالأَرْزَاقِ ... فَإِنَّـهُ مُـتَّهِمُ الـرَّزَاقِ

(1) مشيرا إلى قوله تعالى:(وما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا وعلى الله رزقها...)
ومن عيوب النفس اللجوء إلى الخلق لجلب نفع أو دفع ضر في حين أن النافع والضار هو الله، وهذا لا يعني منع الاستعانة بالغير في قضاء المآرب - جلبا أو دفعا -؛ بل المنهي عنه هو الاعتقاد بأن الغير أيا كان قادرا على ذلك؛ وإلا فإن طلب العون جائز؛ بل مطلوب شرعا شريطة الاعتقاد بأن النتائج من عند الله، وأن الغير ما هو إلا وسيلة.
ومن عيوبها انشغالها بطلب الرزق. دون التورع في الطلب، ودون إتقاء الشبهات والمحرمات. في حين أن الله تعالى قد تكلف بالرزق، وقدره؛ فليتق الإنسان ربه، وليجمل في الطلب؛ فمن شك في رزقه؛ فقد شك في ربه. إلا أن ذلك لا يمنعه من الطلب، واتخاذ الأسباب، والتوكل.
قال صلى الله عليه وسلم: "لو توكلتم على الله خير توكله لرزقتم؛ كما ترزق الطير تغدوا خماصا، وتروح بطانا".

السلمي

ومن عيوبها استكشافه الضر ممن لا يملكه، ورجاؤه النفع ممن لا يقدر عليه، واهتمامه برزقه؛ وقد تكفل الله له بالرزق.

ومداواتها الرجوع إلى صحة الإيمان لما أخبر الله به في كتابه بقوله:(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم).

وبقوله: (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها).

ويصلح له هذه الحال إذا نظر إلى عجز الخلق وضعفهم فيعلم أن كل من كان محتاجا لا يقدر على قضاء حاجة غيره، ومن يكون عاجزا لا يمكنه أن يصلح أسباب غيره؛ فيسلم من هذه الخلة ويرجع بالكلية إلى ربه.

مِــنْ عَيْــبِهَا الفُــتُورُ كَالتَّقْــصِيرِ وَالتَّـــرْكِ لِلـــنُّهُوضِ وَالتَّــشْمِيرِ

أَكْبَـــرُ مِـــنْهُ عَـــدَمُ اهْـــتِمَامِهْ لِنَقْـــصِهِ وَعَـــدَمُ اتِّهَامِـــهْ

ثُــمَّ العَمَــى عَــنْ رُؤْيَــةِ التَّقْــصِيرِ أَكْبَــرُ مِــنْهُ عِــنْدَ ذِي التَّحْرِيــرِ

أَكْبَــرُ مِــنْهُ مَــنْ يَــرَى تَوْقِيــرَهُ مَــع أَنَّــهُ مُــلَازِمٌ تَقْــصِيرَهُ

قَبِــيحَهُ فِــيْ عَيْــنِهِ قَــدْ حَــسَّنَهْ وَسُــوءَ فِعْلِــهِ لَــهُ قَــدْ زَيَّــنَهْ

وَذَاكَ مِــنْ عَــدَمِ شُــكْرِ العَمَــلْ وَعَـــدَمِ اعْتِـــنَائِهِ بِالعِلَـــلْ

دَوَاؤُهُ دَوَامُ الالْـــــــــتِجَاءِ لِـــرَبِّنَا وَالذِّكْـــرُ لِلإِلَـــهْ

ثُـــمَّ لُـــزُوم الذِّكْــرِ وَالـــتِّلَاوَةْ وَفِكْـــرَةٍ تَـــذْهَبُ بِالغَـــبَاوَةْ

وَالــبَحْثُ عَــنْ مَطْعَمِــهِ وَمَــشْرَبِهْ وَتَـــرْكُ كُـــلِّ بَاطِـــلٍ وَمُـــشْتَبَهْ

وَحِفْــظ حُــرْمَةِ ذَوِي الإِسْــلَامِ[1] ثُــمَّ دُعَــاءَ الــسَّادَةِ الأَعْــلَامِ[2]

بِجَــدِّهِ لِحَالِــهِ فِــي طَاعَــتِهْ وَبِلُـــزُومِ بِـــرِّهِ وَخِدْمَـــتِهْ

حَتَّــى يُــرَى فِــي حَلْــبَةِ الــسِّبَاقِ مُـــشَمِّرًا لِلـــسَّيْرِ وَالـــسِّبَاقِ

---

(1) وذلك بعدم التعرض لحرماتهم، وأعراضهم، وأموالهم.
قال صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني". أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة.

(2) أي أن يتعرض لنفحات الله تعالى؛ بأن يطلب من ذوي الفضل، والخير الدعاء الصالح.

السلمي

ومن عيوبها فترتها في حقوق كان يقوم بها قبل ذلك؛ وأكبر منها عيبا من يرى أنه متوقر مع فتوره وتقصيره؛ وهذا من قلة شكره في وقت توفيقه للقيام بهذه الحقوق؛ فلما قل شكره أزيل من مقام التوقير إلى مقام التقصير، وستر عليه نقصانه؛ فاستحسن قبائحه قال الله العظيم: (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا).

والخلاص من ذلك بالالتجاء إلى الله، وملازمة ذكره، وقراءة كتابه، والبحث عن مطلبه، وتعظيم حرمة المسلمين، وسؤال أولياء الله الدعاء له بالرد إلى حاله الأول. لعل الله يمن عليه بأن يفتح عليه سبيل خدمته وطاعته.

مِـنْ عَيْـبِهَا فَقْـدُ حَـلَاوَةِ العَمَـلْ ... وَذَاكَ مِنْ شَوْبِ رِيَّاءٍ قَدْ حَصَلْ[1]

أَوْ تَـرْكُ سُـنَّةٍ وَخَـوْضُ الـنَّفْسِ ... فِـي جُمْلَـةِ الأَسْبَابِ ذَاتِ الَّلـبْسِ

دَوَاؤُهُ تَـصْحِيحُ الـبِدَايَةْ ... لِكَـيْ يَـنَالَ صِـحَّةَ الـنِّهَايَةْ

وَذَاكَ بِالتَّوْحِـيدِ وَالإِخْـلَاصِ ... وَالأَخْـذِ بِالـسُّنَّةِ وَالخَـلَاصِ

مِـنْ تَـبِعَاتٍ وَحُقُـوقٍ لَازِمَـةْ ... وَقِلَّـةِ الأَكْـلِ عَلَـى المُدَاوَمَـةْ

فَخِفَّـةُ الـبَطْنِ دَوَاءُ القَلْـبِ ... وَكَثْـرَةُ الأَكْـلِ أَسَـاسُ العَـيْبِ[2]

إِنْ شَـبِعَ الـبَطْنُ تَجُـوعُ الأَعْـضَا ... وَإِنْ تَجُـعْ يَكُـونُ مِـنْهَا الإِغْـضَا[3]

---

(1) شوب: أي اختلاط.

(2) قال صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه.حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس". أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، وابن ماجة في كتاب الأطعمة.

(3) الإغضاء: أي الإعراض عن الشيء، وعدم التعرض له، ومنه غض الطرف.

- قال ابن عطاء الله في الحكم: "الأعمال أشباح، وروحها وجود سر الإخلاص فيها".

- قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "كثرة الشبع تذهب الفطنة، وتفسد الذهن، وتعين على المعاصي؛ فقد قيل: البطن إذا جاع شبع سائر الجسد، وإذا شبع جاع سائر الجسد، والجوع المفرط مفسد للفكرة، ومقو للخيالات مفسد للقلب".

وقال أيضا: "الشبع من الحلال مبدأ كل شر؛ فكيف به من الحرام".

هذا ولقد أكدت الدراسات الطبية الحديثة على أن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان في بدنه يرجع سببها إلى الإفراط في تناول الطعام؛ ولذلك فهم ينصحون بالحمية، وعلاج النفوس أولى من علاج الأبدان.

السلمي

ومن عيبها: أن يطيع فلا يجد لطاعته لذة، وذلك لشوب طاعته بالرياء، وقلة إخلاصه في ذلك، أو ترك سنة من السنن.

ومداواتها: مطالبة النفس بالإخلاص، وملازمة السنة في الأفعال، وتصحيح مبادئ أموره ليصح له منتهاها.

مِنْ عَيْبِهَا رَجَاؤُهُ الخَيْرِ بِمَا ... يَشْهَدُهُ مِنْ مَشْهَدٍ قَدْ عَظُمَا

وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ ... إِذْ حَقَّهُ فِي ذَا شُعُورُ يَأْسِهِ

لَهُمْ لِأَجْلِ كَوْنِهِ حَضَرَهُمْ ... إِذْ رُبَّمَا بِذَنْبِهِ قَدْ ضَرَّهُمْ

نَعَمْ وَإِزْرَاءُ الفتَى بِنَفْسِهِ ... خَيْرٌ لَهُ مِنْ شُغْلِهِ بِأُنْسِهِ

قِيلَ لِبَعْضِ سَادَةٍ فِي السَّلَفِ ... كَيْفَ تَرَى حَالَةَ أَهْلِ المَوْقِفِ؟

فَقَالَ لَوْلَا أَنْ كُنْتَ مَعَهُمْ ... لَكُنْتُ أَرْجُو الله أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ

كَذَا يَكُونُ حَالُ أَهْلِ اليَقَظَة ... فِي تُهْمَةِ النَّفْس بِكُلِّ تُهْمَة[1]

دَوَاؤُهُ الحَيَاءُ مِنْ مَوْلَاهُ ... لِكَوْنِهِ فِي ذَنْبِهِ يَرَاهُ

فَعَنْ فُضَيْلِ بْنِ عَيَاض أَثَرْ ... وَاسَوْأَتَا وَإِنْ ذُنُوبٌ تُغْفَرُ[2]

---

(1) عدم الاغترار بالعمل مهما كان والاعتماد على رحمة الله تعالى؛ وكذا عدم تزكية النفس لأنها أصل كل نقيصة قال يوسف عليه السلام: (وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إنه غفور رحيم) سورة يوسف الآية: 53.

(2) فضيل بن عياض: هو أبو علي فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر اليربوعي (أحد أقطاب التصوف).أصله من الكوفة إلا أنه ولد بسمرقند وقيل بخراسان بكورة أبيورد. كان شاطرا يقطع الطريق؛ ثم تاب فتاب الله عليه وحسنت سيرته.قدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تنسك وتعبد، وانتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن توفي بها عام 187 هجرية.

وقف الفضيل بعرفة طيلة اليوم طارقا برأسه إلى الأرض صامتا؛ فلما قرب وقت الإفاضة رفع رأسه؛ وقال مخاطبا ربه: "واسوأتاه؛ وإن غفرت لي"؛ وذلك استحياء من الله.

كان ابنه علي من كبار الزهاد.

وَذَاكَ مِـــنْ تَعْظِـــيمِهِ لِـــرَبِّهِ وَمِـــنْ شُـــهُودِهِ عَظِـــيمِ قُـــرْبِهِ

السلمي

ومن عيوبها: أنه يرجو لنفسه الخير في حضور المشاهد؛ ولو تحقق ليئس لأهل المشهد من شؤم حضوره؛ كما قيل لبعض السلف: "كيف رأيت أهل الموقف؟ فقال: رأيت قوما لولا أني كنت فيهم لرجوت أن يغفر الله لهم". هكذا يكون ظن أهل اليقظة بأنفسهم.

دواؤها: أن يعلم أن الله عز وجل؛ وإن غفر له ذنوبه فقد رآه مرتكبا على الخطايا والمخالفات؛ فيستحيي من ذلك ويسيء الظن بنفسه؛ كما قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: واسوأتاه منك وإن غفرت؛ وذلك لتحققه بعلم الله له ونظره إليه.

=

قال ابن عيينه: "ما رأيت أحدا أخوف من الفضيل وابنه".

ومن أقوال الفضيل: "لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة".

مِنْ عَيْبِهَا فَقْدُ حياةٍ لأَجْلِهْ ... إِلَا بِمَوْتٍ فِي الحَيَاةِ العَاجِلَةْ

بِالجُوعِ وَالذُّلِّ وَبِالمُخَالَفَةْ ... وَتَرْكِهِ لِكُلّ شَيْءٍ أَلِفَهْ

وَهِيَ لَا تَحْيَى بِوَجْدِ الحَقّ ... إِلَا بِمَوْتِهَا بِفَقْدِ الخَلْقِ

وَذَاكَ مِنْ عُتُوّهَا وَشُؤْمِهَا ... وَجَهْلِهَا بِقَدْرِهَا فِي عِلْمِهَا[1]

دَوَاؤُهُ فِي ذَاكَ غَيْرُ دَائِهَا ... إِذْ خَالَفَتْ مَا كَانَ مِنْ أَهْوَائِهَا

فَانْطَبَعَتْ لِلحَقّ وَإِتْبَاعِهِ ... بِالتَّرْكِ لِلبَاطِلِ وَارْتِفَاعِهْ

قَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ الرَّازِ[2] ... كَلِمَةً بَلِيغَةَ الإِيجَازِ

تَقَرُّبُ العَبْدِ بِمَوْتِ نَفْسِهِ ... لِرَبِّهِ يَقْضِي بِحَظِّ نَفْسِهِ

أَيْضاً وَقَالَ الجُوعُ كَالطَّعَامِ ... لِبَدَنِ الصِّدّيقِ فِي القِوَامِ[3]

قُلْتُ وَفِي إِفْرَاطِهِ إِضْرَارُ ... إِذْ تَفْلُسُ الأَبْدَانُ وَالأَفْكَارُ

فَلْتَأْخُذَن بِالوَسَطِ المَحْمُودِ ... وَلْتَقْتَنِعْ بِالحَاصِلِ المَوْجُودِ

---

(1) عتوها: علوها وطغيانها.

(2) يحيى بن معاذ الرازي: هو الواعظ أبو زكرياء يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أحد الأوتاد. كان أوحد وقته في طريق التصوف. توفي سنة 258 هجرية، وقبره معروف بنيسابور.من أقواله: "الفوت أشد من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق".

(3) لأن الصوفي عندما يصل إلى درجة الصفاء الروحي يصبح الجوع والشبع عنده سيان؛ فالشبع لا يطغيه والجوع لا يفتر همته عن ذكر ربه.قال الرازي: "جوع التوابين تجربة وجوع الزاهدين رياضة وجوع الصديقين تكرمة".
وكان يقول: "الجوع نور، والشبع نار، والشهوة الحطب يتولد منه الإحراق؛ فلا تنطفئ ناره حتى يحرق صاحبه".
وكان يفضل الغنى على الفقر؛ لأن الغنى يساعد العبد على اتقاء المحارم والتقرب إلى الله بالطاعات وأوجه البر والإحسان.

فَطَــــرَفَا قَــــصْدِ الأَمُــــورِ ذَمَّــــا   إِذْ قَــدْ يُخِــلُّ حِكْمَــةً وَحُكْمَــا[1]

السلمي

ومن عيوبها أنك لا تحييها حتى تميتها وتتلفها: أي لا تحييها للآخرة حتى تميتها عن الدنيا، ولا تحييك بالله حتى تموت عن الأغيار؛ ولذلك قال يحيى بن معاذ: "من تقرب إلى الله بتلف نفسه حفظ الله عليه نفسه".

وذلك أن يمنعها عن شهواتها، ويحملها على مكارهها؛ فإن النفس لا تألف الحق أبدا. ومداواتها: السهر، والجوع، والظمأ، وركوب مخالفات الطبع والنفس، ومنعها عن الشهوات. سمعت محمد بن ابراهيم بن الفضيل يقول: سمعت الرومي يقول: سمعت إبن معاذ يقول:" الحق طعام به يقوي الله أبدان الصديقين".

(1) ذم الشرع كلا من الإفراط والتفريط في الأمور وطلب التوسط في كل شيء، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

وقوله تعالى:(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا).

وقوله صلى الله عليه وسلم:"خير الأمور أوسطها".

قال الشيخ أحمد زروق في النصيحة الكافية: "والجوع المفرط مفسد للفكرة، ومقو للخيالات. مفسد للقلب".

مِـــنْ عَيْـبِهَا عَــدَمُ إِلْــفِ الحَــقِّ ... بِـرَفْضِ مُـوجِبِ الهُـدَى وَالـصِّدْقِ

وَذَاكَ مِــنْ إِهْمَالِهَــا فِــي الحَــالِ ... وَتَـــرْكِهَا لِمُـــوجِبِ الكَمَـــالِ

فَكُـــلُّ مَـــنْ أَهْمَلَهَـــا تُهْلِكُـــهْ ... وَفِـي الـضِّلَالِ وَالهَـوَى تَـسْلُكُهْ

إِذْ طَـــبْعُهَا مُخَالِـــفٌ لِلطَّاعَـــةْ ... مُوَالِــفُ التَّفْــرِيطِ وَالإِضَــاعَةْ

دَوَاؤُهُ الخُــرُوجُ مِــنْهُا كُلِّهَـــا ... لِـــرَبِّهَا بِأَصْـــلِهَا وَفَـــصْلِهَا

قِـيْلَ لَابْـنِ زَادَانَ الَّـذِي قَـدْ يَخْـرُجُ ... لِـــرَبِّهِ فَـــأَيُّ أَصْـــلٍ يَـــنْهَجُ؟[1]

قَــالَ يَتْـرُكُ كُـلَّ مَـا مِـنْهُ خَـرَجْ ... وَعَـــدَمَ اللَّحْـــظِ لِمَـــا عَـــنْهُ دَرَجْ

قِـيْلَ فَهَـذَا حُكْـمُ مَـنْ لَـهُ قِـدَمْ[2] ... فَكَـيْفَ حُكْـمُ خَـارِجٌ عَـنِ العَـدَمْ؟

قَــالَ وُجُــودُ لَــذَّةِ المُــسْتَأْنِف ... عِـوَضَ مُـرِّهِ الَّـذِي فِـي الـسَّالِفِ

فَكُـــلُّ مَـــنْ وَجَــدَ طَعْــمَ الحَــقِّ ... فِــي نَفْــسٍ فَــسَالِكٌ بِالــصِّدْقِ

وَغَيْـــرُهُ فَلْيَـــتَّهِمْ أَعْمَالَـــهْ ... إِذْ لَــمْ يَجِــدْ فِــي نَفْـسِهِ كَمَالَــهْ

السلمي

عيوبها: أنها لا تألف الحق أبدا، والطاعة خلاف سجيتها وطبعها؛ ويتولد أكثر ذلك من متابعة الهوى وإتباع الشهوات.

ودواؤها: الخروج منها بالكلية إلى ربها؛ كما سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبو القاسم المصري ببغداد يقول: سأل رجل ابن زادان عن العبد إذا خرج إلى الله بأي الأصل أن يخرج؟ قال: "على أن لا يعود إلى منه خرج، ويحفظ نفسه عن ملاحظة ما تبرأ منه إلى الله"؛ فقلت له: "هذا حكم من خرج عن وجود فكيف حكم من خرج عن عدم؟"؛ فقال: "وجود الحلاوة في المستأنف عوضا عن المرارة فيما سلف".

(1) ابن زادان: أحد كبار المتصوفة. له مقام عال في السلوك، ورياضة النفس.

(2) قدم: بفتح أو كسر حرف القاف وجهان. يقال له قدم راسخ في الطاعة أو قدم فيها.

مِـــنْ عَيْــبِهَا الخَوَاطِـــرُ الــرَّدِيّةْ ... تَأْلَفُهَـــــا وَالحَالَـــــةُ الدَّنِــــيَّةْ

فَتَـــرْتَدِي بإِلْفِهَـــا المُخَالَفَـــةْ ... وَكَـــــوْنُهَا لِفِعْلِهَــــا مُـــــوَالِفَةْ

إِذْ يَلْـــبَثُ الخَاطِـــرُ بالتّكْــرَارِ ... مُرْتَــسِمًا فِـــي قُــوَّتِهِ الأَفكَـــارِ

وَذَاكَ مِـــنْ فُقْــدَانِهَا المُـــرَاقَبَةْ ... وَعَـــدَمِ الذِّكْـــرِ عَلَـــى المُوَاظَـــبَةْ

دَوَاؤُهُ الـــرَّدُّ لَهَـــا فِـــي الابْــتِدَا ... بِالخَوْفِ وَالذِّكْرِ عَلَى طُولِ المَدَى

وَكَـــــوْنُهُ مُـــــرَاقِباً لِـــــرَبِّهِ ... وَعَـــامِلاً عَلَـــى صَـــلَاحِ قَلْـــبِهِ

كَأَنَّـــــهُ مُنْفَـــــرِدٌ لِلحَـــــقِّ ... وَالجِــسْمِ لَا عَلَــيْهِ بَــيْنَ الخَلْــقِ

فَفِـي حَـدِيثِ المُـصْطَفَى المُخْـتَارِ ... نَـــصٌّ عَلَـــيْهِ عَمَـــلُ الأَبْـــرَارِ

لَا يَنْظُـــرُ اللهُ إِلَـــى صُـــوَرِكُمْ ... وَلَا إِلَـــى الأَعْمَـــالِ بَـــلْ قُلُـــوبَكُمْ

فَخَيْـــرُهَا ذُو رِقَّـــةٍ وَذُو صَـــفَا ... وَشَـــرُّهَا ذُو غِلْظَـــةٍ وَذُو جَفَـــا[1]

وَأَوَّلُ الـــذَّنْبِ يُقَـــالَ الخَطِـــرَةْ ... كَالــسَّيْلِ فِــي ابْــتِدَائِهِ بِالقَطْـــرَةْ

ثُـــمَّ يَـــصِيرُ بَعْــدَهَا مُعَارَضَـــةْ ... مَـــا لَـــمْ يَكُـــنْ بِكُــرْهِهِ مُعَارِضَـــةْ

ثُـــمَّ يَـــصِيرُ بَعْــدَ ذَاكَ وَسْوَسَـــةْ ... مَـــا لَـــمْ يَكُـــنْ بِكُــرْهِهِ قَــدْ سَايَـسَهْ

ثُـــمَّ تَهِـيجُ شَـــهْوَةٌ مِـــنَ الهَـــوَى ... تَــذْهَبُ بِالخَيْــرِ وَتُــضْعِفُ القِــوَى

إِنْ لَـــمْ تَـــدَارَكْ بِجِهَـــادِ الـــنَّفْسِ ... تُثِيـــرُ كُـــلَّ عِلَّـــةٍ وَلُـــبْسِ

(1) وخيرنا في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى في حقه:(فبما رحمة من الله نلت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) الآية159 من سورة آل عمران.

وقال تعالى في حقه: (بالمومنين رؤوف رحيم).

وقال تعالى في حق نبيه:(وإنك لعلى خلق عظيم).الآية 4 من سورة القلم.

والجدير بالمؤمن أن يتخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في سلوكه وأخلاقه.

إِذْ غَطَّــتِ المَعْقُــولَ ذَا البُــرْهَانِ ... وَالعِلْــمَ ذَا الحُجَّــةِ وَالبَــيَانِ

فَأَعْمَــتِ الــسَّرَائِرَ المُــنَوَّرَةْ ... وَطَمَــسَتْ بَــصِيرَةَ المُسْتَبْــصِرَةْ

فَأَصْــبَحَ القَلْــبُ لِــذَاكَ عَمــاً ... وَقَــدْ ثَــنَاهَا ظُلْمَــةً وَظُلْمَــا

وَذَاكَ مَعْنَــى جَــاءَ فِــي الأَخْــبَارِ ... عَــنِ النَّبِــي المُــصْطَفَى المُخْــتَارِ

السلمي *

من عيوبها: أنها تألف الخواطر الردية؛ فتستحكم عليها بالمخالفات.

ومداواتها: رد تلك الخواطر في الابتداء لئلا يستحكم عليه ذلك؛ وذلك بالذكر الدائم وملازمة الخوف بالعلم أن الله يعلم ما بسرك؛ كما يعلم الخالق ما في علانيتك؛ فيستحيي أن يصلح للخلق موضع نظرهم، ولا يصلح موضع نظر الحق.

وقد قال عليه السلام: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم".

وسمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت ابراهيم الخواص يقول: أول الذنب الخطرة؛ فإن تداركها صاحبها بالمجاهدة؛ وإلا هاج منشأ الشهوة. مع طلبه الهوى فغطى العقل والبيان، وهكذا روي في بعض الأسفار أن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان.

مِنْ عَيْبِهَا الشُّغْلُ بِعَيْبِ النَّاسِ ... وَتَرْكُ مَا بِهَا مِنَ الأَدْنَاسِ [1]

وَذَاكَ مِنْ كِبَرْ وَمِنْ إِعْجَابِ ... وَغَفْلَةٍ عَنْ مُوجِبِ العَذَابِ

فَقَدْ أَتَى الوَيْلُ لِكُلِّ هُمَزَهْ ... وَبَعْدَهُ فِي ذَاكَ كُلِّ لُمَزَهْ [2]

وَفَسَّرُوا آيَةَ العَيَّابْ ... وَيْلٌ لَهُ حَلَّ بِهِ العَذَابْ

دَوَاؤُهُ إِبْصَارُ عَيْبَ نَفْسِهِ ... وَبَحْثُهُ عَنْ مُوجِبَاتِ تَعْسِهِ

وَصُحْبَةُ الأَخْيَار وَالأَبْرَارِ ... بِالاتِّبَاعِ وَالاسْتِمْرَارِ

مِنْ عَالِمٍ وَرِعٍ ذِي تُقَى ... أَوْ صَالِحٍ فِي شَأْنِهِ تَحَقَّقَا

وَدُونَ ذَا السُّكُوتُ عَنْ أَخْبَارِهِمْ ... وَنَشْرُ مَا يَظْهَرُ مِنْ أَعْذَارِهِمْ

رجَاءَ سِتْرِ ذَنْبِهِ وَعَيْبِهِ ... وَخَوْفِهِ افْتِضَاحِهِ بِسَبَبِهِ

فَفِي الحَدِيثِ سِتْرَةُ المَرْءِ أَخِيهِ ... سِتْرٌ لَهُ فِي كُلِّ عَيْبٍ يَقْتَفِيهِ [3]

وَفِيهِ أَيْضاً مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَتَهُ ... فَضَحَهُ اللهُ وَأَبْدَى زَلَّتَهُ

وَإِنْ يَكُنْ بِجَوْفِ بَيْتٍ بَخَلَا ... جَاءَ بِمَعْنَاهُ الرَّسُولُ ذُو العُلَا

قَالُوا رَأَيْنَا مَنْ خَلِيَ عَنْ عَيْبُهْ ... فَعَادَ عَيْباً شَغَلَهُ بِغَيْرِهْ

---

(1) فال صلى الله عليه وسلم:"طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس.
الأدناس: جمع دنس. كل ما يلطخ الروح أو النفس من أخلاق سيئة وأفعال ذميمة ممقوتة من الشرع.

(2) يشير إلى قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) سورة الهمزة الآية 1.
والويل: واد في جهنم، والهمزة: الطعان في أعراض الناس، واللمزة: العياب لهم المتتبع لعوراتهم

(3) قال صلى الله عليه وسلم: "من ستر أخاه المسلم ستره الله، ومن تتبع عورات أخيه تتبع الله عورته ففضحه ولو في جوف بيته " أخرجه الترمذي في كتاب البر والإحسان.

وَأَحْـــدَثَ الـــنَّاسُ لَـــهُ عَـــيُوباً كَـــانَ لَـــدَيْهِمْ شَـــائِنًا مَحْجُـــوبَا
وَآخَـــرُونَ بِالعُـــيُوبِ اشْـــتَهَرُوا فَـــسَكَتُوا عَـــنْ غَيْـــرِهِمْ فَـــسُتِرُوا
وَزَالَـــتِ العُـــيُوب عِـــنْدَ الـــنَّاسِ وَطُهِّـــرُوا مِـــنْ جُمْلَـــةِ الأَدْنَـــاسِ
فَلْـــتُعْنَ يَـــا صَـــاحِ بِهَـــذِ الخِـــصْلَهْ فَإِنَّهَـــا مُـــصِيبَةٌ وَذِلَّـــهْ
وَتَـــرْكُهَا مَـــنْفَعَةٌ عَظِـــيمَهْ وَوَصْـــفُ كُـــلِّ مُهْجَـــةٍ كَـــرِيمَهْ

السلمي

ومن عيوبها: اشتغالها بعيوب الناس وعماها عن عيوبها.

دواؤها:رؤية عيب النفس وعمله بها ومعرفته بمكرها ومداومة مجاهدتها في الأسفار والانقطاع وصحبة الصالحين والائتمار لأوامرهم.

وأقل ما فيهم إذا لم يعمل في مداواة عيوب نفسه.أن يسكت عن عيوب الناس، ويعذرهم فيها، ويستر عليهم ذبوبهم رجاء أن يصلح الله بذلك عيوبه؛ لآن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته"، وقال عليه السلام: "من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ثم يفضحه ولو في جوف بيته".

سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت إبن زادان المدني يقول: "رأيت أقواما من الناس كانت عليهم عيوب؛ فسكتوا عن عيوب الناس؛ فستر الله عيوبهم وزالت عنهم تلك العيوب، ورأيت أقواما لم تكن لهم عيوبا اشتغلوا بعيوب الناس؛ فصارت لهم عيوب".

مِــنْ عَيْــبِهَا الإِصْــرَارُ وَالتَّوَانِــي وَالعَجْــزُ وَالتَّــسْويفُ وَالأَمَانِــي
وَذَاكَ مِــنْ أُنْــسٍ لَهَــا بِالكَــسَلْ وَقِلَّــةِ التَّوْفِــيقِ حَــالَ العَمَــلْ
وَعَـــدَمِ الــــتَّقْوَى وَالاحْتِـــيَاطِ وَالخَــوْضِ فِــي مَــوَارِدِ الخِــبَاطِ
دَوَاؤُهُ بِقَـــــوْلَةِ الجُنَـــــيْدِ[1] جَـوَابَ مَـنْ سَـأَلَ طَـرِيقَ القَـصْدِ
بِـــتَوْبَةٍ تَـــذْهَبُ بِالإِصْـــرَارِ وَرَفْــضِ تَــسْوِيفٍ بِخَــوْفٍ جَــارِ
وَبِــرَجَاءٍ بَاعِــثٍ عَلَــى العَمَــلْ وَالذِّكْــرِ دَائِمــاً وَتَقْــصِيرِ الأَمَــلْ

---

(1) الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري. لقب بذلك لأن أباه كان يبيع الزجاج.

شيخ وقته ونسيج وحده وإمام الطائفة الصوفية. أصله من نهاوند ومولده ومنشأه ببغداد. صحب جماعة من المشايخ، وفي مقدمتهم السري السقطي حيث تتلمذ عليه وأخذ عنه طريقته في التصوف؛ كما صحب الحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور حيث أصبح يفتي في حلقته بحضرته.ذكره السلمي على رأس الطبقة الثانية من الصوفية، وطريقته في التصوف هي المعتمدة من طرف المغاربة والشاذلية؛ وإليه تنسب الأبيات:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدم إماما كنت أنت إمامه وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

وللشيخ زروق شرح عليها (انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2589 د).

درس الفقه على أبي ثور حتى صار يفتي في حلقته بحضرته.

من أقوال الجنيد: "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة".

وقوله: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتدى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته؛ فإن طرق الخير كلها مفتوحة عليه " انظر طبقات الصوفية.. توفي الجنيد سنة 297 هجرية

وَأَصْـــلُ كلِّهَـــا فُـــؤَادُ تَفَـــرَّدْ   تَوْحِـــيدُهُ مُحَـــرَّرٌ مُجَـــرَّدْ

بِخَـــالِصِ التَّوحِـــيدِ فِـــي الطَّـــرِيقَهْ   كَمِثْلِ أَصْـلِ الغُـصْنِ فِـي الحَدِيقَـهْ

السلمي

داؤها الغفلة والتغاضي والإصرار والتسويف وتقريب الأمل وتبعيد الأجل.

مداواتها ما سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر الخليدي يقول سئل الجنيد كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله؟ فقال: "توبة تحل الإصرار، ورجاء يبعث على مسالك العمل، وذكر الله على اختلاف الأوقات، وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها عن الأمل".

قيل له: "فبما يصل العبد إلى هذا؟"؛ فقال: "بقلب مفرد فيه توحيد مجرد"،

مِنْ عَيْبِهَا رُؤْيَتُهُ لِنَفْسِهِ ... وَرِفْقِهِ بِهَا لِأَجْلِ حِسِّهِ
وَذَاكَ مِنْ غَلَبَةِ الأَوْهَامِ ... وَعَدَمِ الخَوفِ مِنَ الأَثَامِ
إِذْ مَنْ يَخَفْ يَوْمَ طُولِ رَمْسِهِ ... لَمْ يَتَصَوَّرْ رِفْقَهُ بِنَفْسِهِ
دَوَاؤُهُ رُؤْيَةُ فَضْلِ اللهِ ... وَتَرْكُ كُلِّ غَافِلٍ وَلَاهِ
وَالأَخْذُ بِالجِدِّ وَبِالتَّشْمِيرِ ... وَتَرْكُ صُحْبَةِ ذَوِي التَّقْصِيرِ
وَكُلُّ مَنْ عَنْ نَفْسِهِ رِضَاهُ ... وَلَا يَرَى العَيْبَ الَّذِي أَتَاهُ
إِذْ صُحْبَةَ الرَّاضِي تَزِيدُهُ الرِّضَا ... وَتَدْفَعُ العَبْدَ إِلَى سُوءِ القَضَا
وَصُحْبَةَ المُجْتَهِدِ النَّحْرِيرِ ... تَزِيدُ فِي الجِدِّ وَفِي التَّشْمِيرِ
وَالوَاسِطِي قَالَ قَوْلاً حَسَنَا[1] ... أَقْرَبُ شَيْءٍ مَقْتُ مَنْ بِهَا اعْتَنَى
وَمَنْ رَأَى أَفْعَالَهَا الجَمِيلَهْ ... بِأَنَّهَا حَسَنَةٌ فَضِيلَهْ
لِأَنَّ ذَاكَ يَقْتَضِي اسْتِحْسَانَ مَا ... تَأْتِ بِهِ لِمَا يَكُونُ مَأْتَمَا
فَلْتَتَّهِمْ نَفْسَكَ طُولَ الدَّهْرِ ... مُعْتَصِماً بِاللهِ فِي ذَا الأَمْرِ

السلمي

عيوبه: رؤية نفسه، والشفقة عليها.
دواؤه: رؤية فضل الله تعالى عليه في جميع الأحوال؛ ليسقط ذلك رؤية النفس.
سمعت الرازي يقول سمعت الواسطي يقول: "أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأفعالها".

---

(1) الواسطي: هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي. من أصحاب النوري والجنيد. أصله من فرغانة بخراسان. صحب الجنيد والنوري، وهو من كبار علماء عصره. أقام بمرو وتوفي بها سنة 331 هجرية.وهو المقصود هنا.
من لأقواله: "الخوف والرجاء زمانان يمنعان من سوء الأدب".

مِـــنْ عَيْـــبِهَا تَـــزْيِينُهُ الظَّوَاهِـــرْ   مَـــع تَـــرْكِهِ لِـــزِينَةَ الـــسَّرَائِرْ
وَذَاكَ مِـــنْ تَعْظِـــيمِهِ لِلخَلْـــقِ   وَتَـــرْكِهِ لِمُوْجِـــبَاتِ الـــصِّدْقِ
دَوَاؤُهُ أَنْ يَعْتَنِـــي بِـــسِرِّهِ   لِيُـــصْلِحَ اللهُ جَمِـــيعَ أَمْـــرِهِ
إِذْ فِـي الحَـدِيْثِ مُـصْلِحُ الـسَّرَائِرْ   لِـــرَبِّهِ يُـــصْلِحُ مِـــنْهُ الظَّاهِـــرْ
وَفَـضَّلَ البَـشِيرُ الرَّسُـولُ إِذْ دَعَـا   بِقَـــوْلِهِ خَيْـــراً وَكُـــلاًّ جَمَعَـــا
فَبَـــيَّنَ الفَـــضْلُ لَـــدَى الجَمِـــيعِ   وَفَـــضَّلَ الـــسِّرَّ عَلَـــى المَجْمُـــوعِ

السلمي

عيبها: الاشتغال بتزيين الظواهر، والتخشع من غير خشوع، والتعبد من غير حضور.
مداواتها: الاشتغال بحفظ الأسرار. لترى بَيْنَ أنوار باطنه أفعال ظاهرة؛ فيكون مزينا من غير زينة. مهابا من غير تبع. عزيزا من غير عشيرة؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أصلح سريرته أصلح الله علانيته".

مِنْ عَيْبِهَا طَلَبُهُ الأَعْوَاضَا[1] … بِفِعْلِهِ وَقَصْدِهِ الأَغْرَاضَا
وَذَاكَ مِنْ رُؤْيَتِهِ أَعْمَالَهْ … وَلَحْظِهِ فِي شَأْنِهِ أَحْوَالَهْ
وَأَصْلُهُ مِنْ غَفْلَةٍ عَنْ رَبِّهِ … وَفَقْدِهِ شُهُودِهِ لِقُرْبِهِ
دَوَاؤُهُ فِي رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ … وَفِي شُهُودِ الحُكْمِ وَالتَّقْدِيرِ
إِذْ لَا يَزِيدُ عَمَلٌ فِيمَا قَسَمْ … لَكِنَّهُ عُبُودَةٌ لَنَا رَسَمْ
وَمَنْ يَرِدْ أَخْذَ الجَزَاءَ بِالعَمَلْ … طُولِبَ بِالذي يَكُونَ مِنْ عِلَلْ
يَكْفِي الأَرِيبُ غُنْمُهُ السَّلَامَهْ … إِذْ فِعْلُهُ يَؤُولُ لِلنَّدَامَهْ
وَإِنَّمَا أَعْمَالَنَا مِنْ مِنَّتِهْ … فَكَيْفَ يَطْلُبُ الجَزَا عَنْ هِبَتِهْ

السلمي

عيبها: طلب العوض على أعماله.
مداواتها: رؤية تقصيره في عمله وقلة إخلاصه؛ فإن الكيس في عمله من أعرض عن طلب الأعواض أدبا وتورعا منه.معرضا عالما بأن الذي قدر له من الله يأتيه دنيا وآخرة.

(1) الأعواض: أي العوض، والمقابل.

مِـنْ عَيْـبِهَا نَفْـيُ إلْـتِذَاذِ بِالعَمَـلْ أَوْ فَقْـدُهُ مِـنْ بَعْـدِ مَـا كَـانَ حَـصَلْ
وَذَاكَ مِـــنْ خِـــيَانَةِ الـــسَّرِيرَهْ وَسُـــقْمِ الفُـــؤَادِ بِالجَرِيـــرَهْ[1]
دَوَاؤُهُ فِـــي خِدْمَـــةِ الأَخْـــيَارِ وَالـــشُّغْلِ بِالـــتَّقوَى وَبِالأَذْكَـــارِ
وَخِفَّـــةَ الـــبَطْنِ وَأَكْلِـــهِ الحَـــلَالْ ثُـــمَّ تَـــضَرُّعُ لِـــرَبٍّ وَابْـــتِهَالْ
لَا سِـيَّمَا فِـي ظُلْمَـةِ الأَسْـحَارِ وَفِـــي خُلُـــوِّكَ عَـــنِ الأَغْـــيَارِ

السلمي

عيبها: فقدان لذة الطاعة؛ وذلك من سقم القلب، وخيانة السر.
دواؤها: أكل الحلال، ومداومة الذكر، وخدمة الصالحين، والدنو منهم والتضرع إلى الله تعالى في ذلك؛ ليمن الله تعالى على قلبه بالصحة؛ بزوال ظلمات السقام فيجد إدراك لذة العبادة (الطاعة).

(1) السقم: المرض - الجريرة: ما يقترف من ذنب.

مِـــنْ عَيْـــبِهَا طَلَـــبُ الرِّيَاسَـــهْ بِـــالعِلْمِ وَالجَـــاهِ وَالـــسِّيَاسَهْ

وَالكِبْـــرِ وَالفَخْـــرِ مَـــعَ التَّبَاهِـــي لِجِنْـــسِهِ وَقَـــصْدِهِ غَيْـــرَ اللهِ

وَذَاكَ مِـــنْ إِيـــثَارِهِ دُنْـــيَاهُ نَعَـــمْ وَمِـــنْ نِـــسْيَانِهِ مَـــوْلاَهُ

لِأَنَّ ذِكْـــرَ الـــرَّبِ يُنْـــسِي النَّفْـــسَا فَلَـــمْ يَكُـــنْ لِلعَـــبْدِ فِـــيهَا أُنْـــسَا

وَالأُنْـــسُ بِالدُّنْـــيَا وَذِكْـــرُ الـــنَّفْسِ لِلـــرَّبِّ يُنْـــسِي وَالقُلُـــوبَ يُقْـــسِي

دَوَاؤُهُ فِـــي رُؤْيَـــةِ التَّقْـــصِيرِ وَشُـــكْرِهِ لِلمَلِـــكِ القَدِيـــرِ

فِـــي جَعْلِـــهِ وِعَـــاءَ عِلْـــمٍ وَعَمَـــلْ وَخَـــوْفِهِ مِـــنْ سَـــلْبِهِ بِمَـــا فَعَـــلْ

ثُـــمَّ التَّوَاضُـــعُ وَالانْكِـــسَارُ وَالنُّـــصْحُ وَالإِشْـــفَاقُ وَالإِبْـــرَارُ

قَـــالَ النَّبِـــيُّ المُـــصْطَفَى المُخْـــتَارْ قَـــوْلاً صَـــحِيحاً طَـــيُّهُ إِنْـــذَارْ

مَـــنْ طَلَـــبَ العِلْـــمَ يُـــضَاهِي الفُقَهَـــا بِعِلْمِـــهِ أَوْ لِـــيُمَارِيَ الـــسُّفَهَا

أَوْ لِنَـــيْلِ الجَـــاهِ عِـــنْدَ الـــنَّاسِ بَـــاءَ بِـــنَارٍ فَهُـــوَ ذُو إِفْـــلاَسِ

وَكُـــلُّ عِلْـــمٍ لَـــمْ يَـــزِدْ مِـــنَ الهُـــدَى صَـــاحِبَهُ مِـــنْ رَبِّـــهِ قَـــدْ بَعُـــدَا

لِـــذَا أَتَـــى فِـــي الـــسُّنَّةِ العَلِـــيَّهْ مَـــنْ زَادَ عِلْمـــاً فَلْيَـــزِدْ فِي الخَـــشْيَهْ

وَجَاءَ مَعْنَى فِي الكِتَابِ المُحْكَمْ مَنْ يَخْشَى رَبِّي ذَاكَ عَبْدٌ قَدْ عُلِمْ[1]

وَعُلَمَـــاءُ الـــسُّوءِ فِـــي الأَخْـــبَارِ أَوَّلُ مَـــنْ يَـــصْلَى سَـــعِيرَ الـــنَّارِ

---

(1) يشير في ذلك إلى قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)
وقوله تعالى: (ألا ياعباد فاتقون).

السلمي

ومن عيوبها: طلب الرياسة بالعلم، والتكبر، والافتخار به، والمباهاة فيه على أبناء جنسه.

ومداواتها: رؤية منة الله تعالى عليه أن جعله وعاء لأحكامه، ورؤية تقصير شكره في نعمة الله تعالى عليه بالعلم والحكمة، والتزام التواضع، والانكسار، والشفقة على الخلق، والنصيحة لهم؛ فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من طلب العلم؛ ليباهي به العلماء؛ أو يماري به السفهاء؛ أو ليصرف به وجوه الناس إليه؛ فليتبوأ مقعده من النار"؛ولذلك قال السلف: "من ازداد علما فليزدد خشية"؛فإن الله تعالى يقول: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وقال رجل للشعبي:" أيها العالم من يخشى الله تعالى؟ قال: إنما العالم من يخشى الله تعالى".

مِــنْ عَيْــبِهَا الكَسَــلُ وَالتَّوَانِــي	وَأَصْــلُ ذَاكَ شِــبَعُ الأَبْــدَانِ[1]
بِـــهِ تَقْـــوَى حَظُّهَـــا وَلَحْظُهَـــا	فَتَتْــرُكَ القَلْــبَ وَيَــبْدُو رَفْــضُهَا
لِكُــلِّ خَيْــرٍ كَــانَ فِــي الحَقِــيقَهْ	وَكُــلَّ مَــا يُطْلَــبُ فِــي الطَّــرِيقَهْ
دَوَاؤُهُـــا إِضْـــعَافُهَا بِالجُـــوعِ	وَشُــغْلُهَا مِــنْ غَيْــرِ مَــا هُجُــوعِ
فَفِــي حَــدِيثِ المُــصْطَفَى المُعَظَّــمْ	الــبَطْنُ شَــرُّ مَـــا مَـــلأَهُ آدَمْ[2]
إِنْ كَـــانَ لَا بَـــدَّ فَــثُلْثٌ لِلطَّعَـــامْ	وَلِلــنَّفْسِ الــثُّلْثُ وَلِلمَــاءِ الــتَّمَامْ
وَالـــنَّفْس إِنْ أَهْمَلْـــتَهَا لَا تُفْلِـــحُ	وَإِنْ تَــزِدْ فِــي ضِــيقِهَا قَــدْ تَجْمَــحُ[3]
فَاحْــتَلْ عَلَــى الــنَّفْس فَــرُبَّ حِــيَلَهْ	أَنْفَــع فِــي الــنُّصْرَةِ مِــنْ قَبِــيلِهْ

السلمي

ومن عيوبها: الكسل؛ وهو ميراث الشبع؛ فإن النفس إذا شبعت قويت، وإذا قويت أخذت حظها؛ فإذا أخذت حظها غلبت القلب لوصولها إلى حظها.

ومداواتها: التجويع؛ فإنها إذا جاعت عدمت حظها، وإذا عدمت حظها ضعفت، وإذا ضعفت غلب عليها القلب؛ وإذا غلب عليها القلب حملها على الطاعة،وأسقط عنها الكسل؛ وفي ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإذا كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس".

---

(1) قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "كثرة الشبع تذهب الفطنة وتفسد الذهن وتعين على المعاصي، والجوع المفرط مفسد للفكرة مقو للخيالات مفسد للقلب".
وقال أيضا: "الشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام".

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه. حسبه لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان ولا بد فثلث للطعام، وثاث للماء، وثلث للنفس " أخرجه الترمذي في كتاب الزهد.

(3) ضرورة سياسة النفس بالتوسط في التكاليف الشرعية.

مِـنْ عَيْـبِهَا إِكْـثَارُهُ مِـنَ الكَـلَامْ وَذَاكَ مِنْ حُبِّ العُلُوِّ فِي الأَنَامْ[1]

وَالجَهْلُ بِالوَاجِبِ فِي التَّحَدُّثِ[2] وَمُوجِـبَاتِ المَقْـتِ وَالتَّـشَتُّتِ

دَوَاؤُهُ تَفْـضِيلُهُ اسْـتِمَاعَهْ عَلَـى كَلَامِـهِ لِأَجْـلِ الطَّاعَـهْ

إِذْ فِي حَدِيثِ الصَّادِقِ المُصَدَّقِ أَصْـلُ الـبَلَاءِ مُـوَكَّلٌ بِالمَـنْطِقِ

وَهَـلْ يَكُـبُّ الـنَّاسَ فِـي النِّيـرَانِ شَـيْءٌ سِـوَى حَـصَائِدِ اللِّـسَانِ[3]

---

(1) ورد النهي عن اللغو في كثير من الآيات القرآنية منها:

قوله تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون) المومنون الآية 3.

قوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) القصص الآية 55.

قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الفرقان الآية 63.

قوله تعالى: (وإذا مروا باللغو مروا كراما (الفرقان الآية 72.

قوله تعالى: (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الزمر الآية 18.

ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الموضوع: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " أخرجه الدارقطني.

(2) الواجب في التحدث: أن تستمع لمن يحدثك، وأن تجيب عن سؤاله بقدر المطلوب، والحال، والمقام.

(3) قال صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد أنفسهم " أخرجه الحاكم في مستدركه، والترمذي في كتاب الإيمان.

قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "من أراد السلامة من آفة لسانه فليكثر من قراءة قل أعوذ برب الناس، وسورة القدر".

وقال: "يستعان على حفظ اللسان بثلاثة أشياء: شغله بالذكر الدائم، والخلوة عن الخلق، وقلة المطعم؛ ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه " النصيحة الكافية ص: 73.

وَقَـالَ كُـلُّ مَـا يَقُـولُ ابْـنُ آدَمْ فَهُـوَ عَلَـيْهِ مُـوجِبٌ لِلـنَّدَمْ
إِلَا إِذَا يَأْمُـرُ بِالمَعْـرُوفْ أَوْ يَنْهَـى عَـنْ نُكْـرٍ وَعَـنْ مَأْلُـوفْ
وَجَامِـعُ الأَمْـرِ عَلَـى التَّحْرِيـرِ فِي قَـوْلِهِ لَا خَيْرَ فِي قَـوْلِ كَثِيرِ[1]
وَمَـا أَتَـى فِـي شَـأْنِ كُـتْبِ الحَفَظَـهْ لِـيَعْمَلَ العَـبْدُ عَلَـى المُحَافَظَـهْ
إِذْ كُـلُّ لَفْـظٍ فَلَـهُ رَقِـيبْ يَكْتُـبُهُ وَهُـوَ لَـنَا قَـرِيبٌ[2]
فَلْنَـتَحَفَّظْ مِـنْ آفَـةِ اللِّـسَانِ فَإِنَّـهُ ضُـرٌّ عَلَـى الإِنْـسَانِ
وَأَصْـعَبُ الأَعْـضَا فِـي المُـرَاقَبَهْ عِلَلُـهُ عَلَـى الأَنَـامِ عَاقِـبَهْ

(1) يقول الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه أجرا عظيما). النساء الآية: 113.

(2) يقول الله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) سورة ق الآية 19.
ويقول تعالى: (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) سورة الانفطار الآيات: 10 - 11 - 12
ويقول تعالى: (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) سورة ق الآيات: 18 - 18 - 19.

السلمي

ومن عيوبها: إيثارها لكثرة الكلام؛ وإنما يتولد ذلك من شيئين:

* إما لطلب رياسة يريد أن يرى الناس علمه وفصاحته.

* أو لقلة العلم بما يجب عليه في الكلام.

مداواتها: تحققه بأنه مأخوذ بما يتكلم به، وأنه مكتوب عليه، ومسؤول عنه لأن الله تبارك وتعالى يقول: (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)، ويقول تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).، وقال صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"، وقال: "البلاء موكل بالقول"، وقال صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلام ابن آدم كله عليه.إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر"؛ وهكذا قال تعالى:

(لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بَيْنَ الناس).

مِنْ عَيْبِهَا تجَاوُزُ الحُدُودِ   عِنْدَ الرِّضَى وَالغَضَبِ المَوْجُودِ
بِزَائِدِ المَدْحِ لِمَنْ تَرْضَى بِهِ   وَعَكْسِهِ تَزِيدُ فِي عِتَابِهِ
وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِحَقِّ اللهِ   وَطَلَبِ الرِّضَى لِغَيْرِ اللهِ
دَوَاؤُهُ فِي ذَا التِزَامِ الصِّدْقِ   حَتَّى يَصِيرَ مُوثِراً لِلحَقِّ
فِي حَالَتَيْهِ مِنْ رِضَى وَمِنْ غَضَبْ   إِذْ عَدْلُهُ فِي الحَالَتَيْنِ قَدْ وَجَبْ
وَعَدَّهُ خَيْرُ الوَرَى فِي المُنْجِيَاتِ   وَفِي الخِصَالِ الفَاضِلَاتِ الزَّاكِيَاتِ
إِذَا يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ رَبُّنَا   وَيَسْخَطُ الخَلْقُ عَلَيْهِ فِي الدُّنَا
فَلَا يَنَالُ مَا أَرَادَ أَبَدَا   مَعْ أَنَّهُ عَنْ رَبِّهِ قَدْ بَعُدَا
وَقَدْ نَهَى اللهُ عَنِ اقْتِفَاءِ مَا   لَمْ يَكُنْ المَرْءُ لَهُ قَدْ عَلِمَا[1]
وَقَالَ خَيْرُ مَنْ أَتَى لِلْعَالَمِينِ   أَحْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ المَادِحِينْ

السلمي

عيبها: أنها إذا رضيت مدحت المرضى عنه فوق الحد، وإذا غضبت ذمته وتجاوزت الحد.

ومداواتها: رياضة النفس على الصدق، والحق حتى لا يتعد في*مدح من رضي عنه، ولا في ذم من سخط عليه؛ فالإكثار من ذلك من قلة المبالاة بالأوامر والنواهي؛ والله تعالى يقول: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "احثوا التراب في وجوه المداحين".

(1) يشير إلى قوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

مِـــنْ عَيْـــبِهَا أَنْ تَـــسْتَخِيرَ أَوَّلاً وَبَعْـدَهَا يَـسْخَطُ مَـا قَـدْ حَـصَلَا

وَذَاكَ مِـــنْ تُهْمَـــةِ المَـــرْءِ لِـــرَبِّهِ وَبُعْـــدِهُ عَـــنْ مُوجِـــبَاتِ قُـــرْبِهِ

دَوَاؤُهُ بِعِلْمِـــــــــهِ بِجَهْلِـــــــــهِ بِحَالِـــــهِ وَأَصْـــــلِهِ وَفَـــــضْلِهِ

إِذْ قَـدْ يُحِـبُّ مَـا يَكُـونَ شَـرًّا وَيَكْـرَهُ الأَمْـرَ يَكُـونُ خَيْـرَا[1]

فَالعَـــبْدُ لَا يَعْلَـــمُ مَـــا يَخْـــتَارْ وَوَصْـــفُهُ العَجْـــزُ وَالافْـــتِقَارْ

وَرَبُّـــنَا يَعْلَـــمُ مَـــا يَخْفَـــى عَلَـــيْهِ وَقَـــادِرٌ لَدَيْـــهِ فِـــي عَجْـــزٍ لَدَيْـــهِ

فَلْيَـــسْتَرِحْ مِـــنْ تَعَـــبِ التَّدْبِيـــرِ وَالهَـــمِّ وَالـــنَّكَدِ وَالتَّكْدِيـــرِ

مُفَوِّضَـــاً لِـــرَبِّهِ وَرَاضِـــيَا بِمَـــا قَـــضَاهُ عَالِـــياً وَدَانِـــيَا

السلمي

عيبها: أنها تستخير الله تعالى في أفعالها. ثم يستخف بما يختار له.

ومداواتها: أن تعلم أنه يعلم من الأشياء ظواهرها، والله يعلم بواطنها وحقائقها، وأن حسن اختيار الله تعالى له خير من اختياره لنفسه؛ فما اختار عبد لنفسه إلا كان منوطا ببلاء، فيعلم أنه مدبر لا مدبر، وأن سخطه للمقتضى لا يغير القضا؛ فيلزم نفسه طريق الرضا بالقضا؛ فيستريح من النكر، والغم.

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: (وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم... الآية).

مِــنْ عَيْــبِهَا إِكْــثَارُهُ التَّمَنِّــي دُونَ تَوَقُّـــــفٍ وَلَا تَأَنِّــــــي

إِمَّـــا لِخَيْــرٍ يَرْتَجِـــي وُصُـــولَهُ أَوْ دَفْـــعِ شَــرٍّ يَخْتَــشِي حُــصُولَهُ

وَذَاكَ مِــنْ خَــوْضٍ وَمِــنْ تَدْبِيــرِ وَرَفْــــضِهِ النَّظَـــرَ لِلتَّقْدِيــــرِ

دَوَاؤُهُ تَـــــــسْلِيمُهُ لِــــــرَبِّهْ وَعِلْمُـــــهُ فِـــي حَالِـــهِ بِقُـــرْبِهْ

إِذْ مَــا يَكُــنْ مِــنْ نَفَــسٍ يُــبْدِيهِ إِلَا وَفِـــــيهِ قَـــــدَرٌ يُمْـــــضِيهِ

فَــإِنْ يُفَــوِّضْ فِــي انْــبِهَامِ حَالَــتِهْ نَــالَ الَّــذِي يَقْــضِي مَــع اسْــتِرَاحَتِهْ

وَنَفْــسَهُ يُتْعِــبُهَا مَهْمَـــا سَــخَطْ إِذْ يَــنْفُذُ القَــضَاءُ وَهُــوَ يَخْتَــبِطْ

قَــالَ الرَّسُــولُ وَهُــوَ خَيْــرُ مُخْبِــرْ إِذَا تَمَنَّـــــى أَحَـــــدٌ فَلْيَنْظُـــــرْ

فِــيمَا تَمَنَّــى وَالَّــذِي قَــصَدَ لَــهْ إِذْ أَنَّــهُ لَــمْ يَــرِدْ مَــا كُــتِبَ لَــهْ

وَجَــاءَ نَهْــيٌ عَــنْ تَمَنِّــي المُــوْتْ عِــنْدَ نُــزُولِ الــضَرِّ خَــوْفَ الفَــوْتِ

وَلِــيَقُلِ العَــبْدُ أَحْيِنِــي مَــا كَانَــتْ حَيَاتِــي خَيْــراً وَأَمِــتْ إِنْ كَانَــتْ

وَفَاتِــي خيــراً لِــي وَذَا تَفْــوِيضُ فِــيهِ الــدُّعَا وَالــصَّمْتُ وَالتَّعْــرِيضْ

السلمي

ومن عيوبها: كثرة التمني؛ والتمني هو الاعتراض على الله تعالى في قضائه وقدره.

مداواتها: أن يعلم أنه لا يدري ما يعقبه التمني أيجره إلى خير أم إلى شر؟ إلى ما يرضيه أم إلى ما يسخطه؟ فإذا تيقن إبهام عاقبة تمنيه أسقط عن نفسه ذلك ورجع إلى الرضا، والتسليم؛ فيستريح؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى؛ فإنه لا يدري ما كتب له في أمنيته"، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به؛ وليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي".

مِـنْ عَيْـبِهَا الخَـوْضُ فِـي كُـلِّ وَادِ وَالأَخْـذُ فِـي الأَسْـبَابِ بِالمُعْـتَادِ[1]

وَذَاكَ مِيـــرَاثُ فَـــرَاغِ لُـــبِّهِ وَفَـــرْعُ دُنْـــيَاهُ الَّتِـــي بِقَلْـــبِهِ

دَوَاؤُهُ اشْـــــتِغَالُهُ بِالذِّكْـــــرِ وَتَـــرْكُ مَـــا لَـــمْ يَعِـــنْهُ مِـــنْ أَمْـــرِ

فَحُـــسْنُ إِسْـــلَامِ الفَتَـــى مِـــنْهُ وَرَدْ تَـرْكُ الَّـذِي لَا يَعْنِـيهِ فِـيمَا قَـصَدْ[2]

•

السلمي

من عيبها: الخوض في أسباب الدنيا وحديث النفس.
مداواتها: الانشغال بالذكر الدائم في كل أوقاته؛ ليشغله ذلك عن ذكر الدنيا، وأهلها، والخوض فيما هم فيه، ويعلم أن ذلك مما لا يعنيه؛ فيتركه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

---

(1) قال زروق: "من وجد كفاية عن الأسباب فالله أغناه؛ وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب اتكالا على الناس؛ وهو قادر على الاكتساب " النصيحة الكافية.

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " أخرجه الدارقطني.

مِـــنْ عَيْـــبِهَا إِظْهَـــارُهُ لِلطَّاعَـــة وَحُـــبُّهُ لِـــرُؤْيَةِ الجَمَاعَـــة[1]

لِفِعْلِـــــهِ مُـــــزَيِّناً إِيَّـــــاهُ لِأَجْـــلِ تَعْظِـــيمِ الَّـــذِي يَـــرَاهُ

دَوَاؤُهُ تَعْظِـــــــيمُهُ لِـــــــرَبِّهِ إِذْ فَقْـــدَ ذَاكَ هُـــوَ أَصْـــلُ عَيْـــبِهِ

مَـــنْ عَـــرَفَ الحَـــقَّ رَآهُ وَحْـــدَهُ وَنَاظِـــرَ الغَيْـــرِ اسْـــتَحَقَّ بُعْـــدَهُ

وَطَلَـــبُ الخَـــلَاصِ بِـــالإِخلَاصِ إِذْ مَـــا لَـــهُ عَـــنْ ذَاكَ مِـــنْ مَـــنَاصِ

فَـــلَا يُحِـــبُّ اللهُ قَلْـــباً مُـــشْتَرَكْ كَـــذَاكَ لَا يُحِـــبُّ فِعْـــلاً مُـــشْتَرَكْ

هُـــوَ غَنِـــيٌّ مَـــا لَـــهُ شَـــرِيكُ فَلَـــمْ يُجْـــزِهِ فِـــي قَـــصْدِهِ التَّشْرِيكُ

وَمَـــنْ يَكُـــنْ فِـــي قَـــصْدِهِ يُـــشَارِكْ تَـــــرَكَهُ وَذَلِـــــكَ المُـــــشَارِكْ

كَـــذَا الَّتِـــي مَعْـــنَاهُ فِـــي الحَـــدِيثْ وَصَـــحَّ نَقْـــلاً لِـــذَوِي التَّثْبِـــيتْ

السلمي

عيوبها: إظهار طاعتها، ومحبتها أن يعلم الناس ذلك منه ويروه، والتزين بها عندهم.
ومداواتها: أن يعلم أنه ليس للخلق ضره ولا نفعه، ويجتهد في مخالفة نفسه بالإخلاص في أعماله؛ ليزيل عنه هذا العيب؛ فإن الله تعالى يقول: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)، وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل: "من عمل عملا أشرك فيه غيري؛ فأنا منه بريء؛ وهو للذي أشرك".

---

(1) من عيوب النفس الرياء وحب السمعة بين الناس. حيث أنه يظهر أمامهم، ويتكلف بينهم ما ليس من خصاله أو أخلاقه، والمفروض أن يطلب الإنسان رضا ربه وليس رضا الخلق.

مِنْ عَيْبِهَا طَمَعُهُ[1] فِي الخَلْقِ ... وَذَاكَ ضِدُّ وَرَعٍ وَصِدْقِ

وَفِيهِ أَصْلُ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ ... وَخِدْمَةُ العَبِيدِ وَالأَحْرَارِ

وَالجَلْبُ لِلرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ ... وَخَيْبَةٌ تَلْحَقُهُ فِي المَطْمَعِ

وَفَقْدُهُ حَلَاوَةِ الأَعْمَالِ ... وَرَفْضُهُ لِلْهِمَمِ العَوَالِ

فَالعَبْدُ حُرٌّ دَائِماً مَتَى قَنَعْ ... وَالحُرُّ عَبْدُ لِلَّذِي فِيهِ طَمَعْ

وَأَصْلُهُ مِنْ شَكِّهِ فِيمَا قَسَمْ ... وَفَقْدِهِ الرِّضَى لِمَا بِهِ رَسَمْ

دَوَاؤُهُ بِالتَّرْكِ وَالإِعْرَاضِ ... عَنْ كُلِّ وَجْهٍ جَرَّ لِلْأَغْرَاضِ

إِمَّا اكْتِفَاءٌ بِالَّذِي قَدْ قَسَمَا ... أَوْ رَفْعُ هِمَّةٍ لِمَا قَدْ وَسَمَا

مِنْ خُلُقٍ كَرِيمَةٍ رَفِيعَهْ ... وَتَرْكِ مَا يَخْشَاهُ مِنْ شَنِيعِهْ

قَدِ اسْتَعَاذَ المُصْطَفَى مِنَ الطَّمَعْ ... أَعْنِي الَّذِي يَهْدِي بِه عَلَى طِبَعْ

وَطَمَعُ العَبْدَ بِغَيْرِ مَطْمَعِ ... لِأَنَّهُ ذُلٌّ وَخِزْيٌّ فَاسْمَعِ

وَقَالَ بَعْضُ سَلَفِ الإِسْلَامِ ... قَوْلاً صَحِيحاً سَابِغَ الأَحْكَامِ

فِي طَمَعِ المَرْءِ افْتِقَارٌ حَاضِرْ ... مُشَاهَدٌ فِي كُلِّ حَالٍ ظَاهِرْ

إِنْ طَمِعَ الغَنِيُّ فَهُوَ مُفْتَقِرْ ... أَوْ قَنَعَ الفَقِيرُ فَهُوَ مُنْتَصِرْ

لِعِزِّ هَذَا وَلِذُلِّ هَذَا ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عَنِ الغِنَى مَلَاذَا

إِذْ لَيْسَ إِلَّا تَعَبٌ وَخَوْفُ ... وَآفَةٌ وَذِلَّةٌ وَحَيْفُ

---

(1) الطمع مرض خطير يفقد صاحبه خصوصياته الإنسانية، ويعرضه للهوان والمذلة والصغار لأنه يدفعه للتملق وهدر كرامته.

السلمي

ومن عيبها: الطمع.

ومداواتها: أن يعلم أن طمعه يدخله في الرياء، وينسيه حلاوة العبادة، ويصيره عبدا للعبيد بعد أن خلقه الله تعالى حرا من عبوديتهم.

وتعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من الطمع فقال: "أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع في غير مطمع"؛ وهو الطمع الذي يطبع على قلبه ليرغبه في الدنيا، ويزهده في الآخرة.

وروي عن بعض السلف أنه قال: "الطمع هو الفقر الحاضر، والغني الجامع فقير، والفقير المتعفف غني، والطمع هو الذي يقطع الرقاب ويسود الوجوه ويميت القلوب".

واستشهدوا:

أَتَطْمَعُ فِي لَيْلَى وَتَعْلَمُ أَنَّمَا ... تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

مِـنْ عَيْـبِهَا الحِـرْصُ مَـعَ التَّكَاثُـرِ وَالجَمْـعُ وَالمَـنْعُ مَـعَ التَّهَاتُـرِ[1]

وَذَاكَ مِـنْ جَهْـلٍ بِحَـالِ الدُّنْـيَا وَمَـا إِلَـيْهِ أَمْـرُهَا فِـي الأَشْـيَا

دَوَاؤُهُ العِلْـمُ بِـأَنَّ جَمْعَـهُ يُـبْعِدُهُ عَمَّـا يُفِـيدُ نَهْجَـهُ

مَـعَ أَنَّـهُ المُعِـدُّ لِلـزَّوَالِ وَالتَّـرْكِ وَالـنَّقْلِ وَالارْتِحَـالِ

لَا خَيْـرَ فِـيمَا آلَ لِلْفَـنَاءِ مَـعَ كَثْـرَةِ الـشَّقَاءِ وَالعَـنَاءِ

يَـا عَجَـباً لِمُوثِـرٍ دُنْـيَاهُ وَتَـرْكِهِ إِيـثَارَهُ أُخْـرَاهُ

مَـعَ عِلْمِـهِ بِـأَنَّ هَـذِي فَانِـيَهْ وَهَـذِهِ دَائِمَـةٌ وَبَاقِـيَهْ

السلمي

عيوبها: حرصها على عمارة الدنيا، والتكثير منها.

ومداواتها: أن يعلم أن الدنيا ليست له دار قرار، وأن الآخرة هي دار القرار؛ والعاقل من يعمل لدار قراره. لا لمراحل سفره؛ فإن المراحل تنقطع بالسفر لا بالمقام؛ فيعمل لما إليه قراره قال الله تعالى: (وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون).

(1) التهاتر: التكالب على الدنيا.

يقول الله تعالى: (ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر) الآيتان 1 و 2 من سورة التكاثر.

مِـنْ عَيْـبِهَا اسْتِحْسَانُ مَـا يَـرْتَكِبُهْ	وَأَخْـذُهُ بِكُـلِّ أَمْـرٍ يُعْجِـبُهْ
وَنَقْـدُهُ لِفِعْـلِ مَـنْ يُخَالِفُـهْ	حَتَّـى يَـرَى لِفِعْلِـهِ يُـوَالِفُهْ
وَذَاكَ مِـنْ غَفْلَـتِهِ عَـنْ رَبِّـهِ	وَمِـنْ شُـهُودِ نَفْـسِهِ وَعُجْـبِهِ
دَوَاؤُهُ اتِّهَامُـهُ لِنَفْـسِهِ	وَحُـسْنُ ظَـنِّهِ بِكُـلِّ جِنْـسِهِ
وَرُؤْيَـةِ الحَـالِ بِعَـيْنِ الـنَّقْصِ	وَذِكْـرِ ذَنْـبِهِ الَّـذِي لَا يُحْـصَ

السلمي

ومن عيوبها: استحسان ما تركبه من الأمور، واستقباح فعل ما يخالفها.
مداواتها:اتهام النفس؛ لأنها أمارة بالسوء، وحسن الظن بالخلق لانبهام العواقب.

مِـــنْ عَيْـــبِهِ إِكْــرَامُهُ لِجَــسَدِهِ وَذَاكَ مِـــنْ نِـــسْيَانِهِ لِرَمْـــسِهِ

دَوَاؤُهُ بِقِلَّــــــةِ المُـــــبَالَهْ بِــشَأْنِهِ حِـــسًّا بِكُـــلِّ حَالَـــهْ

فَـابْنِ نُجَيْدٍ قَـالَ مَـنْ قَـدْ كَـرُمَتْ عَلَــيْهِ نَفْــسَهُ فَدِيـــنُهُ أَذَتْ[1]

وَمَــنْ تَهُــنْ عَلَـيْهِ ذَاكَ المُكْــرَمُ فِـــي دِيـــنِهِ إِذْ بِـــصَلَاحٍ يُوسَـــمُ

السلمي

عيوبها: الشفقة على النفس، والقيام بتعهدها. مداواتها: الإعراض عنها، وقلة الاشتغال بها؛ كذلك سمعت جدي يقول: من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه.

(1) ابن نجيد: هو أبو عمر إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي جد الشيخ أبي عبد الرحمان السلمي. لقي الجنيد. توفي بمكة سنة 366 هجرية.
من أقواله:
- " من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه".
- " من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها".
- " لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله كلها عنده رياء، وأحواله كلها عنده دعاوى".
- " من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضره ولا نفعه؛ فقد أظهر جهله".
- " احترم عامة المسلمين، ولا تتصدر في أمر ما أمكنك".
- " وقيل له من أين تتولد الدعاوى؛ فقال من الاغترار، وتشويش الأسرار".

مِــنْ عَيْــبِهَا انْتِــصَارُهُ لِنَفْــسِهِ وَذَاكَ أَصْــلٌ فِــي وُجُــودِ نكْــسِهِ
دَوَاؤُهُ رُؤْيَــــتُهَا بِالاحْــــتِقَارِ وَأَنَّهَــا مَحَفَّــةٌ بِكُــلِّ عَــارِ
لِأَنَّهَــا ظَلُــومَةٌ غَــشُومَهْ غَــدَّارَةٌ مَكَّــارَةٌ مَــشُومَهْ[1]
تَــرَى لَهَــا الحَــقَّ بِغَيْــرِ الــبَاطِلِ مَــشْغُولَةٌ بِاللَّهْــوِ وَالأَبَاطِــلِ
تَــرَى لَهَــا الحَــقَّ بِغَيْــرِ حَــقّ وَتَطْلُــبُ الأَمْــرَ بِغَيْــرِ صِــدْقِ
فَلَــمْ يَكُــنْ خَيْــرُ الأَنَــامِ يَنْــتَقِمْ لِنَفْــسِهِ لَكِــنْ لِفِعْــلٍ مُجْتَــرَمْ[2]

السلمي

ومن عيوبها: الانتقام لها، والخصومة عنها، والغضب لها.
ومداواتها: عداوتها وبغضها، ومحبة الدين، والغضب لارتكاب المناهي؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه ما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله؛ فينتقم لله".

(1) مشومة: مشؤومة.

(2) بل كان عليه السلام رضاه في الله، وغضبه في الله.

مِـنْ عَيْـبِهَا قُـبُولِ مَـدْحِ الـنَّاسِ وَالـشُّغْلُ بِالـرِّزْقِ مَـع الأَنفَـاسِ[1]

وَذَاكَ مِـــنْ غُـــرُورِهِ وَغَفْلَـــتِهْ عَـــنْ رَبِّـــهِ فِـــي فِعْلِـــهِ وَحَالَـــتِهْ

دَوَاؤُهُ فِـــي الأَوَّلِ المُـــرَاقَبَهْ وَتَـرْكُ مَـا يَـرْجُوهُ مِـنْ مُـصَاحَبَهْ

وَلِلْأَخِيـــرِ قُـــوَّةُ اليَقِـــينِ وَثِقَـــةٌ بِـــالله فِـــي سُـــكُونِ

قَـــالَ الإِمَـــامُ حَـــاتِمُ الأَصَـــمْ حِكَايَـــةً هِـــيَ لَدَيْـــهِ فَهْـــم[2]

يَقُـولُ لِـي الـشَّيْطَانُ كُـلَّ يَـوْمِ مِـنْ أَيْـنَ الأَكْـلُ يَـا ضَـعِيفَ القَـوْمِ

مِـنْ أَيْـنَ تَلْـبَسُ أَيَّ شَـيْءٍ تَـسْكُنُ أَقُـولُ أَكْلِـي المَـوْتُ لَبْـسِي الكَفَـنُ

وَمَـسْكَنِي القَبْـرُ وَذَاكَ المُنْتَهَـى عِنْدَ ذَوِي الحَزْمِ وَأَرْبَابُ النُّهَى[3]

فَلْتَـسْتَرِحْ مِـنْ تَعَـبِ الإِعْـدَاءِ وَكُـلِّ مَـا تَعْـتَادُ مِـنْ إِغْـوَاءِ[4]

---

(1) قال عليه السلام: "أحثوا التراب في وجه المادحين".أخرجه أبو داود في كتاب الأدب. الانشغال بطلب الرزق والانقطاع إليه دون بقية أفعال الطاعات والتكاليف الشرعية قبيح وإلا فإن طلب الرزق أمر مطلوب شرعا.

(2) حاتم الأصم: أبو عبد الرحمان حاتم الأصم من مشايخ خراسان تتلمذ على شقيق البلخي؛ ومن تلامذته الفقيه المجتهد أحمد بن خضريوه البلخي. توفي سنة 237 هجرية.

(3) يشير إلى قول حاتم الأصم: "ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما ذا تأكل؟، وما ذا تلبس؟، وأين تسكن؟؛ فأقول له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر " الرسالة القشرية ص: 20. - طبقات الصوفية.
ومن أقواله: "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة".

(4) الإعداء: تحريض النفس على المعاداة.

السلمي

ومن عيوبها:
* الاهتمام بإكرام الناس له، واشتغاله بإصلاح الظاهر لزينة الناس، وغفلته عن إصلاح الباطن. الذي هو موضع نظز الله عز وجل.
* الاهتمام بالرزق؛ وقد ضمنه الله، وقلة اهتمامها بعمل افترضه الله عليه.
مداواتها:
* أن يتيقن أن الخلق لا يكرمونه إلا بمقدار ما جعل الله له في قلوبهم، ويعلم أن باطنه موضع نظر الله؛ فهو أولى بالإصلاح من الظاهر الذي هو موضع نظر الخلق.
قال الله تعالى: (إن الله كان عليكم رقيبا).
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أعمالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم".
* أن يعلم أن الله الذي خلقه ضمن له كفاية رزقه؛ فقال عز وجل: (الله الذي خلقكم ثم رزقكم) فكما لا يشرك في الخلق لا يشرك في الرزق.
سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن عبيد يقول: يحكى عن حاتم الأصم أنه قال: "ما من صباح إلا والشيطان يقول: ما تأكل اليوم؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر".

مِـنْ عَيْـبِهَا التَّكْثِيـرُ مِـنْ ذُنُـوبِ حَتَّـى تُثِيـرَ قَـسْوَةَ القُلُـوبِ

دَوَاؤُهُ كَثْـرَةُ الاسْـتِغْفَارِ وَتَـوْبَةٌ تَـذْهَبُ بِالإِصْـرَارِ[1]

وَصُـحْبَةُ الأَخْـيَارِ وَالـصِّيَامِ[2] ثُـمَّ حُـضُورِ الذِّكْـرِ وَالقِـيَامِ[3]

---

(1) لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مع جلال قدره وغفران الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يكثر من الاستغفار. مجيبا من سأله عن ذلك: "أفلا أكون عبدا شكورا".

(2) لما كانت المجالسة مجانسة ولما كانت فائدة الصحبة عظيمة فقد اشترط الصوفية صحبة المريد لشيخ عارف بالله ليساعده على التخلص من عيوب نفسه ويدله على الطريق الصحيح لمعرفة ربه؛ ودليلهم على ذلك كون الصحابة لم يستطيعوا أن يتخلصوا من أخلاق الجاهلين إلا بمصاحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب).سورة الجمعة. الآية: 2.

ولقد استدلوا على وجوب اختبار الجليس أو الصاحب بأدلة كثيرة منها:

* قول الله تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدو والآصال يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) سورة الكهف. الآية 28.

* وقول الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) سورة التوبة الآية 119.

* وقول الله تعالى: (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا). سورة الفرقان الآيات 27 - 28 - 29.

وقوله صلى الله عليه وسلم:

* " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" رواه أبو داود والترمذي في كتاب الزهد.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

* مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه؛ وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير =

فِــي آخِــرِ اللَّــيْلِ وَبِالأَسْــحَارِ لِلذِّكْـــرِ وَالــدُّعَاءِ وَالاسْــتِغْفَارِ

وَلَا تُفِــيدُ فِــيهِ ذِكْــرُ الجَمْــعِ مَــا لَـمْ يَكُـنْ ذَاكَ بِأَهْـلِ الجَمْـعِ

وَلَا الـصِّيَامُ دُونَ صَـمْتٍ وَاعْتِـزَالْ وَلَا القِــيَامُ دُونَ صِــدْقٍ وَابْــتِهَالْ

ثُــمَّ كَــذَاكَ صُــحْبَةُ الأَخْــيَارِ إِلَّا بِالاحْتِـــــرَامِ وَالإِبْـــــرَارِ

وَقَــدْ شَــكَا لِلمُــصْطَفَى إِنْــسَانُ قَــسْوَةَ قَلْــبٍ شَــانُهُ العِــصْيَانُ

قَــالَ أَدْنُــهُ لِلذِّكْــرِ كَــيْ يَــزُولَا مَحْلُــــهُ وَيَقْتَنِــــي قَــــبُولَا

وَقَــالَ مَــنْ أَذْنَــبَ ذَنْــباً نَكَــتاً فِــي قَلْــبِهِ سَــوَادُهُ وَثَبَــتَا

فَــإِنْ يَــتُبْ مِــنْ ذَاكَ أَوْ يَــسْتَغْفِرُ زَالَ الَّـــذِي نَكَـــتَهُ إِذْ يَغْفِــــرُ

وَإِن يَكُــنْ فِــي غَــيِّهِ تَمَــادَى فَنَكْـــــتُهُ يَـــــزِيدُهُ اسْــــوِدَادَا

حَتَّـى يَـصِيرَ القَلْـبُ لَـيْسَ يَعْـرِفُ النُّكْـرَ وَالمَعْـرُوفَ بَـلْ يُجَـازِفُ

ثُــمَّ تَــلَا لَــهُ إِمَــامُ العَارِفِــينْ مَـا قَـدْ أَتَـى فِي سُورَةِ المُطَفِّفِينْ

مِــنْ ذِكْــرِ رَانٍ وَاقِــعٍ فِـي القَلْـبِ مُكْتَـسَبٌ مِـنِ ارْتِكَـابِ الـذَّنْبِ[1]

=

إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة".رواه البخاري في صحيحه. كتاب الذبائح.

انطلاقا مما سبق يبقى الحذر مشروطا وواجبا في اختيار الصاحب، ولما كان الصاحب كالمرآة لصاحبه؛ فعلى الإنسان أن يختار الصاحب المؤمن لأنه ينبهه لعيوب نفسه وأخطائها. ويعلمهم الكتاب).سورة الجمعة. الآية: 2.

(3) الحضور هنا بالمعنيين: الحضور الحسي والحضور المعنوي: أي حضور الذهن والإقبال عليه بمجامع القلب والروح.

(1) يشير إلى قوله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) سورة المطففين الآية 14.

السلمي

ومن عيوبها: كثرة الذنوب، والمخالفات؛ إلى أن يقسى القلب.

ومداواتها: كثرة الاستغفار، والتوبة في كل نفس، ومداومة الصيام، والتهجد بالليل، وخدمة أهل الخير، ومجالسة الصالحين، وحضور مجالس الذكر؛ فإن رجلا شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه؛ فقال: "أدنه من مجالس الذكر"، وقال: "إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة"، وقال: "إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء؛ فإن تاب واستغفر ذهبت؛ فإن أذنب ثانيا نكت في قلبه نكتة أخرى إلى أن يصير القلب غثا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا". ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

مِنْ عَيْبِهَا ذِكْرُ رَقِيقِ العِلْمِ ... وَالخُوْضُ فِيهِ بِدَقِيقِ الفَهْمِ

كَيْ يَسْتَمِلْ أَنْفُسَ الأَغْمَارِ ... مُكْتَسِباً جَاهاً عَلَى اسْتِمْرَارِ

وَذَاكَ مِنْ إِيثَارِهِ دُنْيَاهْ ... وَتَرْكِهِ مَا يَرْتَضِي مَوْلَاهْ

دَوَاؤُهُ علمه بوعظه ... لِنَفْسِهِ بِقَوْلِهِ وَلَحْظِهِ

حَتَّى يَكُونَ تَاركاً دُنْيَاهُ ... وَمُؤْثِراً بِحَالِهِ مَوْلَاهُ

قَدْ أَمَرَ اللهُ المَسِيحَ المُرْتَضَى ... أَنْ يَبْتَدِي بِنَفْسِهِ إِنْ وَعَظَا

حَتَّى تَرَى بِوَعْظِهِ مُتَّعِظَهْ ... أَوْ تَرْعَوِي فَتَسْتَحِي مِنَ العِظَهْ

وَالمُصْطَفَى فِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ ... رَأَى الَّذِي قَدْ حَلَّ بِالخُطَبَاءِ

شِفَاهُهُمْ تُقْرَضُ بِالنِّيرَانْ ... لِلْأَمْرِ بِالبِرِّ بِلَا إِتْيَانْ

أَتَامُرُونَ قَدْ أَتَى فِي البَقَرَهْ ... فِي آيَةٍ زَاجِرَةٍ مُذَّكِرَهْ[1]

السلمي

ومن عيوبها حبها للكلام على الناس، والخوض في رقائق العلوم؛ ليصرف بحسن كلامه وجوه الناس إليه.

مداواتها: العمل بما يعلم، وأن يعظ الناس بفعله لا بقوله؛ كما روي أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: "إذا أردت أن تعظ الناس، فعظ نفسك؛ فإذا اتعظت، وإلا استحيي مني"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مررت ليلة الإسراء بقوم تقرض شفاههم بمقارض من نار؛ فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟ فقال: هؤلاء الخطباء من أمتك يامرون الناس، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون".

---

(1) يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة منكرا على بني إسرائيل: (أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) الآية44.
قال داود الطائي: "جالست الناس سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمر بي؛ وأنا إلى الكلام فيه أشد نزاعا من العطشان إلى الماء البارد".

مِنْ عَيْبِهَا سُرُورُهَا وَالفَرَحُ وَطَلَبُهَا الرَّاحَةُ وَهِيَ تَمْرَحُ
وَذَاكَ مِنْ رِضَاهُ عَنْهَا أَبَدَا وَعَدَمِ اتِّهَامِهِ فِيمَا بَدَا
دَوَاؤُهُ اسْتيقَاظُهُ مِنْ غَفْلَتِهْ لِأَنَّ ذَاكَ هُوَ أَصْلُ عِلَّتِهْ
وَذِكْرُهُ تَقْصِيرِهِ وَزَلَلِهْ وَكُلِّ نَهْيٍ كَانَ فِيهِ عَمَلُهْ
وَذِكْرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ آتِ مِنْ أَمْرِ أُخْرَاهُ بِلَا انْفِلَاتِ
قَالَ الرَّسُولُ هَذَا سِجْنُ المُومِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ طُولَ الزَّمَنِ[1]
وَالسِّجْنُ فَاعْلَمْ لَيْسَ فِيهِ فَرَحْ وَإِنَّمَا فِيهِ الأَذَى وَالتَّرَحْ
وَقَالَ دَاوُدُ الإِمَامُ الطَّائِي كَلِمَةً عَظِيمَةَ الأَنْبَاءِ[2]
قَطْعُ قُلُوبِ العَارِفِينَ أَبَداً بِذِكْرِهِمْ إِحْدَى الخُلُو دَيْنِ غَدَا
وَقَالَ بِشْرُ لِلَّذِي قَدْ سَأَلَهْ مَا لَكَ مَهْمُوماً جَوَاباً أَجْمَلَهْ[3]

---

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"

(2) داود الطائي: هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي. سمع الحديث واشتغل بالفقه حيث كان يجالس الإمام أبا حنيفة. ثم تزهد بعد ذلك؛ فأصبح كبير الشأن؛ ومن شدة زهده أنه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأنفقها في عشرين سنة. توفي بالكوفة سنة 165 هجرية.
من أقواله:
- " لا عبادة لمن لا مروءة له".
- " إياكم أن يتخذ أحدكم في داره أكثر من زاد الراكب إلى البلاد البعيدة".
قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني؛ فقال: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفر من الناس كفرارك من الأسد".

(3) بشر الحافي: هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي أحد رجال الطريقة ومعدن الحقيقة. أصله من مرو، وسكن بغداد. صحب الفضيل بن عياض. مناقبه كثيرة أفردها ابن الجوزي بالتأليف في كتابه المنتظم. توفي سنة 227 هجرية.

=

لِأَنِّـــي فِـــي حَالَتِـــي مَطْلُـــوبُ وَذَا جَـــوَابٍ جَامِـــعُ مُـــصِيبُ

السلمي

ومن عيوبها: سرورها، وفرحها، وطلبها الراحة؛ وتلك من نتائج الغفلة.
ومداواتها: التيقظ لما بَيْنَ يديها، وعلمها بتقصيرها فيما أمر به، وارتكابها ما نهى عنه، وأن هذه الدار له سجن لا سرور، ولا راحة في السجن؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر"؛ فيجب أن يكون عيشه فيها عيش المسجونين لا عيش المستروحين، وحكي عن داود الطائي أنه قال: "قطع نياط قلوب العارفين أحد الخلودين"، وقال رجل لبشر الحافي: "مالي أراك مهموما؟ قال: لأني مَطْلُوبه".

من أقواله:
- " لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس، ويطلعوا على صفات كماله".
- " يا طالب العلم إنما أنت متلذذ متفكه بالعلم تسمع وتحكي لا غير؛ ولو علمت بما علمت لتجرعت مرارة العلم. ويحك إنما يرا بالعلم العمل".

مِنْ عَيْبِهِ إتْبَاعُهُ هَوَاهَا   وَسَعْيُهُ لِمَا بِهِ رِضَاهَا
وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِهَا وَبِالمَآلِ   وَأَصْلُهُ إِهْمَالُهَا بِكُلِّ حَالِ
دَوَاؤُهُ إِيثَارُهُ مَوْلَاهُ   وَشُغْلُهُ بِكُلِّ مَا يَرْضَاهُ
وَتُهْمَةُ النَّفْسِ عَلَى الدَّوَامِ   وَقَهْرِهَا فِي سَائِرِ الأَيَّامِ
لِأَنَّهَا أَمَّارَةٌ ذَاتُ هَوَى   مُوثِرَةٌ لِكُلِّ غَيْرٍ وَسِوَى[1]
وَقَدْ رُوِيَ عَمَّنْ عُرِفَ بِالقَارِ   نَحْتُ الجِبَالِ قَالَ بِالأَظْفَارِ
أَيْسَرُ مِنْ خِلَافِهَا هَوَاهَا   مَهْمَا يَكُنْ قَدْ حَلَّ فِي قِوَاهَا
أَفَرَأَيْتَ قَدْ أَتَى فِي الجَاثِيَهْ   إِشَارَةٌ لِمَا ذَكَرْنَا كَافِيَهْ[2]
فَلْتَعْتَصِمْ بِاللهِ مِنْ هَوَاكَا   وَلْتَعْتَصِمْ مِنْ شَرِّ مَا اعْتَرَاكَا

السلمي

ومن عيوبها: اتباعها هواها، وموافقة رضاها، وارتكاب مراداتها.

ومداواتها: ما أمر الله به من قوله تعال: (ونهى النفس عن الهوى)، وقوله: "(إن النفس لأمارة بالسوء)، وما روى عن الداري أنه قال: "لنحت الجبال بالأظافر أهون من زوال الهوى إذا تمكن من النفس".

(1) يقول الله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)

(2) يقول الله تعالى: (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) سورة الجاثية الآية 23.

مِـنْ عَيْـبِهَا الإِيـثَارُ لِلمُعَاشَـرَهْ وَصُـحْبَةُ الأَقْـرَانِ وَالمُظَاهَـرَهْ
وَذَاكَ مِـنْ أُنْـسٍ بِهَـذَا العَـالَمْ وَفَقْـدِ ذِكْـرٍ لِلفِـرَاقِ وَالـلَّازِمْ
دَوَاؤُهُ العِلْـمُ بِـأَنَّ الـصَّاحِبْ مُفَـارِقٌ وَزَايِـلٌ وَذَاهِـبْ
فَقَدْ قَالَ جِبْرِيلُ لِخَيْرِ المُرْسَلِينْ ثَلاثَـةٌ لِكُـلِّ لُـبٍّ يَـسْتَبِينْ
عِـشْ الَّـذِي شِـئْتَ فَأَنْـتَ مَـيِّتٌ وَحـب مَـنْ شِـئْتَ فَلَـيْس يَثْبُتُ[1]
وَاعْمَـلْ بِمَـا شِـئْتَ بِـهِ تُجَـازَى إِذْ كُـلُّ شَـخْصٍ فِعْلَـهُ يُجَـازَى
قَـالَ الحَكِـيمُ حِكْمَـةً مِـصْدَاقَهْ فِـي المَـالِ وَالخُلْطَـةِ وَالـصَّدَاقَهْ
كُـلّ عَـدُوٍّ غَيْـرَ مَـنْ صَـفَيْتَا وَالمَـالُ خُـسْرٌ غَيْـرَ مَـا وَاسَـيْتَا
وَالخُلْطَـةُ التَّخْلِـيطُ مِـنَّا فِـيهَا مَـا لَـمْ تَكُـنْ مُـدَارِيًا سَـفِيهَا
فَلْيَقْتَـصِدْ فِـي صُـحْبَةِ الأَخْـيَارِ وَلِيَحْتَـرِزْ مِـنْ خُلْطَـةِ الأَشْـرَارِ

السلمي

ومن عيوبها: ميلها إلى معاشرة الأقران، وصحبة الإخوان.
ومداواتها: أن يعلم أن الصاحب له مفارق، والمعاشرة منقطعة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال له جبريل عليه السلام: "عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت؛ فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به".
وقال أبو القاسم الحكيم: "الصداقة عداوة إلا ما صافيت، وجمع المال حسرة إلا ما واسيت، والمخالطة تخليط إلا ما داويت".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "يابن آدم عش ما شئت فإنك ميت...".

مِـــنْ عَيْــبِهَا اسْتِينَاسُـــهُ بِطَاعَـــتِهْ   وَرُؤْيَـــةُ الأَعْمَـــالِ مِـــنْ بِـــضَاعَتِهْ

وَذَاكَ مِـــنْ فُقْدَانِـــهِ البَـــصِيرَهْ   وَعَـــدَمِ التَّحقِـــيقِ مِـــنَ الـــسَّرِيرَهْ

دَوَاؤُهُ نَظَـــــــرُهُ لِعِلَلِـــــــهْ   وَذِكْـــرُ مَـــا ارْتَكَـــبَهُ مِـــنْ زَلَلِـــهْ

حَتَّـــى يَـــرَى احْـــتِقَارَ مَـــا لَدَيْـــهِ   فَـــلَا يُعَـــوِّلُ دَائِمَـــا عَلَـــيْهِ

وَلِيَنْتَظِـــرِ التَّوْفِـــيقَ مِـــنْ مَـــوْلَاهُ   وَلِيَـــشْتَغِلْ بِـــشُكْرِ مَـــا أَوْلَاهُ

وَيَتْـــرُكَ الأَعْـــوَاضَ وَالأَغْرَاضَـــا   وَيَكْتَـــسِبْ مِـــنْ نَفْـــسِهِ إِعْرَاضَـــا

السلمي

ومن عيوبها: أنسها بطاعتها، ورؤية استحسانها.
ومداواتها: أن تعلم أفعالها؛ وإن أخلصتها؛ فهي معلومة بأن أفعالها لا تخلو من العلل، ويعمل في إسقاط رؤية استحسانه من أفعالها.

مِـنْ عَيْـبِهَا تَمْكِيـنُهَا مِـنَ الهَـوَى ... حَتَّـى تَعُـوقَ العَـبْدَ فِـيمَا قَـدْ نَـوَى
وَذَاكَ مِـــنْ غَفْلَــتِهِ وَهَفْـــوَتِهْ ... وَفَقْــدِهِ اسْــتِيقَاظَهُ مِــنْ حَالَــتِهْ
دَوَاؤُهُ فِـــي مَــنْعِهَا مُــرَادَهَا ... وَتَــرْكِهِ لِمَــا بِــهِ اسْــتِعْدَاؤُهَا
وَأَخْــذِهَا بِالحَــزْمِ وَالإِكْــرَاهِ ... مَــعَ اجْتِــنَابِ جُمْلَــةَ المَــلَاهِ
قَـالَ أَبُـو حَفْـصٍ هُـوَ الحَـدَّادُ ... كَلِمَــــةً لِمِثْلِــنَا تُــرَادُ[1]
مَهْمَـا دَعَـتْ لِلْأَمْـرِ خُـذْ خِلَافَـهْ ... لِأَنَّهَـــا مَوْضِـــعُ كُــلِّ آفَــةْ

السلمي

ومن عيوبها: إماتتها النفس باتباع الهوى والشهوات؛ فإن النفس إذا مكنت من ذلك ماتت عن الطاعات والموافقات.
ومداواتها: منعها من مرادها، وحملهغا على المكاره، ومخالفتها فيما تطلب؛ فإن ذلك الذي يميت عنها شهواتها.
قيل لأبي حفص: "بم يستجلب صلاح النفس؟ قال: "مخالفتها لأنها موضع كل آفة".

---

(1) أبو حفص الحداد: هو أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد أحد أئمة وسادات الصوفية؛ فهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور كما قال السلمي. ولد بقرية "كورد أباذ" بضاحية مدينة نيسابور على طريق بخارى. توفي سنة 264 هجرية على الصحيح كما قال السلمي.
من أقواله:
- " إذا رأيت المريد يحب السماع؛ فاعلم أن فيه بقية من البطالة".
- " حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن".
- " من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره؛ فلا تعده في ديوان الرجال".

مِـنْ عَيْـبِهَا الأَمْـنُ مِـنَ الوَسْـوَاسِ   وَغَفْلَـةٍ عَمَّـا بِهَـا مِـنْ بَـاسِ

إِذْ أَخْـذَهُ بِــهِ بِــلَا انْـتِهَاءِ   وَذَاكَ مِــنْ عَلَامَـةِ الـشَّقَاءِ

دَوَاؤُهُ بِــصِحَّةِ الإِيْمَــانِ   كمَـا أَتَـى فِـي مُحْكَـمِ القُـرْآنِ

إِذْ مَـنَعَ المَوْلَـى الكَـرِيمُ ذُو العُلَـى   مِــنَ الـضَّلَال مُؤْمِـنًا تَـوَكّلَا

وَجَعَــلَ العَمَــى لِمَــنْ تَوَلَّــى   شَــيْطَانَهُ بِــشِرْكِهِ فَــذُلَّا

وَصَــارَ فِــي عِــبَادَةِ الـشَّيْطَانِ   مَــعْ ظَــنِّهِ عِــبَادَةَ الـرَّحمَان

فَلْتَعْتَــصِمْ بِــالله مِــنْ وَسْـوَاسِ   مُجَانِــباً لِجُمْلَــةِ الأَدْنَــاسِ

السلمي

ومن عيوبها: أن تأمن من وسوسة الشيطان ومكره.
ومداواتها:تصحيح العبودية بشروطه، والتضرع إلى الله في أن يمن عليه بذلك؛ لأن الله تعالى يقول: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان).

مِـنْ عَيْـبِهَا الإِظْهَـارُ لِلخُـشُوعِ مِـنَ الـصَّلَاحِ الظَّاهِـرِ المَوْضُـوعِ
دُونَ تَحَقُّـــقٍ وَذَا نِفَـــاقْ صَـاحِبُهُ لَـيْسَ لَـهُ خـلَاقْ
دَوَاؤُهُ فِـي الـصِّدْقِ وَالإِخـلَاصِ وَتَـرْكِهِ لِجُمْلَـةِ المَعَـاصِ
إِذْ مَـنْ تَـشَبَّهَ بِمَـا لَا يَمْلِـكُ كَلَابِـسِ لِـثَوْبِ زُورٍ يَـشْرَكُ[1]
جَـاءَ بِمَعْـنَاهُ الرَّسُـولِ الـصَّادِقْ فَاعْمَـلْ بِـهِ إِنْ كُـنْتَ عَـبْداً صَـادِقْ

السلمي

ومن عيوبها: الترسم برسم الصلاح من غير مطالبة القلب بالإخلاص فيما ترسم به من صلاح.

ومداواتها: ترك الخشوع الظاهر إلا بقدر ما يرى من خشوع الباطن في قلبه وسره[2]؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "المتشبع بما لم يعط؛ كلابس ثوب زور".

---

(1) المتشبّه: الذي ينسب لنفسه صفة ليست فيه. - يشرك: يخلق ويبلى.

(2) لأن الله يمهل ولا يهمل.

مِـــنْ عَيْـــبِهَا قِلَّـــةُ الاعْتِـــبَارِ بِحِلْـــمِ مَـــوْلَانَا عَـــنِ الأَوْزَارِ

وَذَا مِـــنِ اغتِـــرَارِهِ بِحِلْمِـــهِ وَفَقْـــدِهِ نَظَـــرِهِ لِعِلْمِـــهِ

دَوَاؤُهُ خَـــشْيَتُهُ لِـــرَبِّهِ لِكَـيْ يَـنَال مِـنْ عَظِـيمِ قُـرْبِهِ

وَأَنْ يَـــرَى تَأْخِيـــرَهُ إِمْهَـــالُ وَلَا يَظُـــنُّ أَنَّـــهُ إِهْمَـــالُ[1]

لَا بُـدَّ مِـنْ سُـؤَالِهِ فِـي الحَافِـرَهْ وَبَعْـدَهُ جَـزَاؤُهُ فِـي الآخِـرَهْ

فَـإِن يَكُـنْ بِذَنْـبِهِ يُجَـازَى فَـوَيْلُهُ وَكُـلُّ شَـرٍّ حَـازَا

فَلْـيَخَفِ العَـبْدُ قِـيَامَ العَـدْلِ وَلِيَرْتَجِـي أَيْـضاً نَـوَال الفَـضْلِ

إِذْ لَا صَـغِيرَة إِنْ أَتَـاهُ العَـدْلُ وَلَا كَبِيـرَة إِنْ أَتَـاكَ الفَـضْلُ[2]

وَقَـالَ شَـاعِرٌ مَقَـالاً حَـسَنَا لِمَـا ذَكَـرْنَا مُوَضِّـحاً مُبَيِّـنَا

قَـدْ غَـرَّهَا إِمْهَـالُ بَارِيهَـا لَهَـا لَا تَحْـسِبَنَّ إِمْهَالَهَـا إِهْمَالَهَـا

السلمي

ومن عيوبها: عدم الاعتبار بما يراه من إمهال الله إياه في ذنوبه.
ومداواتها: دوام الخشية، وأن يعلم أن ذلك الإمهال ليس بإهمال؛ فإن الله تعالى مسائله عن ذلك، ومجازيه عن ذلك؛ إلا أن يرحمه الله، فإن الإعتبار لأهل الخشية؛ لأن الله تعالى يقول: (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى).

(1) لأن الله يمهل ولا يهمل.

(2) قال صلى الله عليه وسلم: "لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار"

مِـنْ عَيْـبِهَا إِفْـشَاءُ سِـرّ الـصَّاحِبِ	وَهِـــيَ خِـــيَانَةٌ وَتَـــرْكُ وَاجِـــبِ
وَذَاكَ مِـــنْ خَـــسَاسَةٍ وَنَقْـــصِ	فَاعِلُـــهُ المَذْمُـــومُ وَهُـــوَ يَعْـــصِ
دَوَاؤُهُ رُجُـــــوعُهُ لِنَفْـــــسِهِ	فَمَـــا يُـــرِدْ لَهَـــا يُـــرِدْ لِجِنْـــسِهِ[1]
إِذْ ذَاكَ شَـرْطُ المُومِنِـينَ قَـدْ أَتَـى	وَصَـحَّ مَعْنًـى فِـي حَـدِيثٍ ثَبَـتَا

السلمي

ومن عيوبها: محبتها لإفشاء عيوب إخوانه، وأصحابه.
ومداواتها: أن يرجع في ذلك إلى نفسه؛ فيحب للناس ما يحب لنفسه، وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

مِنْ عَيْبِهَا رِضَاهُ عَنْهَا فِي العَمَلْ ... وَعَدَمُ ازْدِيَادِهِ بِمَا فَعَلْ
وَذَاكَ مِنْ هِمَّتِهِ الخَسِيسَهْ ... وَتَرْكِهِ لِلحَالَةِ النَّفِيسَهْ
دَوَاؤُهُ فِي طَلَبِ الزِّيَادَهْ ... بِالبَحْثِ وَالحِرْصِ وَالاسْتِفَادَهْ
قَالَ عَلِيّ المُرْتَضَى العَدْنَانْ ... مَنْ لَمْ يَزِدْ فَهُوَ فِي نُقْصَانْ
قَالُوا ثَبَاتُ المَرْءِ فِي أَعْمَالِهْ ... زِيَادَةٌ لَدَيْهِ فِي أَفْعَالِهْ
لِأَنَّ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الغَدِ ... مُضِيفٌ لِمَا مَضَى مِنْ عَدَدِ

السلمي

ومن عيوبها: ترك الاستزادة في نفسه في أفعاله، وأقواله عن الاقتداء بالسلف.
ومداواتها: طلب الزيادة، والحرص على الاستفادة؛ فإن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "من لم يكن في زيادة؛ فهو في نقصان".

مِـــنْ عَيْــبِهَا احْــتِقَارُهُ لِلمُــسْلِمِينْ وَكِبْــرُهُ عَلَــى جَمِــيعِ العَالَمِــينْ
وَذَاكَ مِـــنْ جَهَالَـــةٍ بِالـــنَّفْسِ وَسُـــوءِ فِعْـــلٍ مُـــوْجِبٍ لِلَّـــبْسِ
دَوَاؤُهُ الـــرُّجُوعُ لِلتَّوَاضُـــعِ ثُـــمَّ احْتِـــرَامُ مُـــذْنِبٍ وَضَـــائِعِ
مِـــنْ كُـــلِّ مَـــنْ يُـــدِينُ بِالإِسْـــلَامِ كَـــانَ كَبِيـــراً وَبِـــلَا احْتِـــرَامِ
وَرَبُّـــنَا نَبِـــيَّهُ قَـــدْ أَمَـــرَهْ بِالعَفْـــوِ وَالاسْـــتِغْفَارِ وَالمُـــشَاوَرَهْ[1]
وَنَظَـــرَ الرَّسُـــولُ نَحْـــوَ الكَعْـــبَهْ مُعَظِّمـــاً لِمَـــا لَهَـــا مِـــنْ حُـــرْمَهْ
فَقَـــالَ مَـــا لِلمُؤْمِنِـــينَ أَعْظَـــمُ عِـــنْدَ الإِلَـــه حُـــرْمَةً وَأَكْـــرَمُ[2]
إِنْ حَـــرَّمَ اللهُ لَـــدَيْكَ وَاحِـــدَهْ وَالمُؤْمِنِـــينَ بِاثْنَتَـــيْنِ زَائِـــدَهْ
دَمٌ وَمَـــالٌ ثُـــمَّ ظَـــنُّ سُـــوءِ فَانْظُـــرْ لِهَـــذَا وَبِخَيْـــرٍ فَأْتُـــو
وَكُـــنْ أَبِـــيًّا حَازِمـــاً يَقْظَانَـــا وَلَا تَكُـــنْ فِـــرْعَوْنَ أَوْ شَـــيْطَانَا

السلمي

ومن عيوبها: تحقير المسلمين، والترفع، والتكبر عليهم.

ومداواتها: الرجوع إلى التواضع، واعتماد حرمة المسلمين؛ فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر).

فليعلم أن الكبر هو الذي أوقع إبليس فيما أوقعه فيه حتى قال: (أنا خير منه).

والنبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال: "ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. إن الله حرم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاثا: دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء".

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر...) سورة آل عمران من الآية 159؛ فقد أمر الله تعالى نبيه محمدا بذلك بعد أن خالف الرماة أمر الرسول فغادروا موقعهم، وحل بالمسلمين ما حل بهم من القتل والهزيمة.

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن أعظم حرمة عند الله من البيت الحرام".

مِــنْ عَيْــبِهَا الكَــسَلُ وَالقُعُــودُ عَــنْ أمْــرِ مَوْلَــى فَـضْلُهُ مَمْــدُودُ
وَذَاكَ مِــنْ جَهْــلٍ بِمَــا لَدَيْــهِ وَفَقْـــــدِهِ تَـــــوَجُّهاً إِلَــــيْهِ
دَوَاؤُهُ نَظَــــــرُهُ لِــــــرَبّهِ لِتَنْــشُطَ الــنَّفْسُ بِذِكْــرِ قُــرْبِهِ
فَــابْنُ نَجِــيدٍ قَــالَ قَــوْلاً حَــسَنَا مُــــتَّجِهاً مُحَقّقــــاً مُبيــــنَا[1]
تَهَــــاوُنُ العَــبْدُ بِأَمْــرِ رَبِّــهِ لِفَقْــدِهِ عِــرْفَانَهُ مِــنْ قَــبْلِهِ

السلمي

ومن عيوبها: الكسل والقعود عن الأوامر الشرعية.
ومداواتها: أن يعلم أنه مأمور من جهة الحق ليحمله ذلك على النشاط.
ولذلك سمعت جدي إسماعيل بن نجيد رحمه الله تعالى يقول: "التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر".

---

(1) سبقت الترجمة لابن نجيد.

مِـنْ عَيْـبِهَا إِظْهَـارُ فِعْـلُ الخَيْـرِ وَفِعْلُـهُ بِعَكْـسِهِ فِـي الـسِّرِّ[1]
وَذَاكَ مِـــنْ غَلَـــبَةِ الـــرِّيَاءِ وَحُـــبِّهِ لِلْمَـــدْحِ وَالثَّـــنَاءِ
دَوَاؤُهُ إِصْـــــلَاحُهُ الـــــسَّرِيرَهْ وَتَـــوْبَةٌ يَمْحُـــوا بِهَـــا الجَرِيـــرَهْ
وَالعِلْـــــمُ أَنَّ رَبَّـــــهُ يَـــــرَاهُ فِـــي كُـــلِّ حَـــالٍ دَائِمـــاً يِـــنْهَاهُ
قَـــالَ الرَّسُـــولُ وَهُـــوَ قَـــوْلٌ ظَاهِـــرْ كَفَـــى الفَتَـــى شَـــرًّا بِقَلْـــبٍ فَاجِـــرْ
وَهـــو يَـــري خَـــشْيَةَ رَبِّ الـــنَّاسِ لِلْخَلْـــقِ بِالـــرِّيَاءِ وَالإِلْـــبَاسِ
قَـــالَ أَبُـــو عُـــثْمَانَ أَعْنِـــي الحِيـــرِي خُـــشُوعُ ظَاهِـــرٍ مَـــع الفُجُـــورِ[2]
لِـــــبَاطِنٍ يُـــــورِثُهُ الإِصْـــــرَارَا فَـــــيَطْمِسَ الأَضْـــــوَاءَ وَالأَنْـــــوَارَا

---

(1) ورد في هذا المعنى آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة منها:
* قوله تعالى:(أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون).
* قوله تعالى: (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله).

(2) أبو عثمان الحيري: هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري أصله من الري ثم أقام بنيسابور. صحب شاه الكرماني، وأقام عند أبي حفص الحداد، وصاهره بابنته. كان في وقته أوحد المشاييخ في سيرته؛ فعنه انتشرت طريقة التصوف بنيسابور. توفي سنة 298 هجرية بنيسابور، وقبره معروف بها جوار قبر أستاذه الحداد.من أقواله:
- " أصل العداوة من ثلاثة أشياء: الطمع في المال، وفي إكرام الناس، وفي قبول الناس".
- " الخوف من الله تعالى يوصلك إلى الله، والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله عز وجل، واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يداوى".
- " من لم تصح إرادته لا تزيده الأيام إلا إدبارا عن الطريق طوعا أو كرها".
- " أنت في سجن ما تبعت مرادك؛ فإذا فوضت وسلمت استرحت".

وَذَاكَ مَحْــضُ الخُــبْثِ وَالــنِّفَاقِ   يَـضُرُّ فِـي الـدِّينِ وَفِـي الأَخْـلَاقِ

السلمي

ومن عيوبها: أن تتزين بزي الصالحين، وتعمل عمل أهل الفساد.

ومداواتها: ترك زينة الظاهر إلا بعد إصلاح الظاهر، فإن تزين بزينة قوم اجتهد في أن يوافقهم في أخلاقهم وأفعالهم كلها أو بعضها؛ لأنه روي في الخبر أنه قال: "كفى بالمرء شرا أن يري الناس أنه يخشى الله وقلبه فاجر".

وقال أبو عثمان: "زينة الظاهر مع فجور يورث الإصرار".

مِنْ عَيْبِهَا تَضْيِيعُهُ أَوْقَاتَهْ ... بِالخَوْضِ فِي الدُّنْيَا وَمَا قَدْ فَاتَهْ

وَذَاكَ مِنْ جَهَالَةٍ بِالوَقْتِ ... وَمَا لَهُ مِنْ عِزَّةٍ وَثَبْتِ

دَوَاؤُهُ اهْتِمَامُهُ بِوَقْتِهْ ... وَذِكْرُهُ فِيهِ هُجُومَ مَوْتِهْ

أَعَزُّ شَيْءٍ وَقْتُنَا مَتَى ذَهَبْ ... بِغَيْرِ شُغْلٍ فَاتَنَا مِنْهُ الأَرَبْ

ثُمَّ يَعُودُ حَسْرَةً فِي الآخِرَهْ ... وَظُلْمَةً فِي القَلْبِ ثُمَّ الحَافِرَهْ

وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْتَغِلْ بِالخَيْرِ ... أَشْغَلَتِ المَرْءَ بِكُلِّ شَرِّ[1]

فَلْتَحْذَرِ النَّفْسَ ثُمَّ الحَذَرِ ... فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانِ الغَدْرِ

السلمي

ومن عيوبها: تضييع أوقاته بالانشغال بما لا يعنيه من أمور الدنيا، والخوض فيها مع أهلها.

ومداواتها: أن يعلم أن وقته أعز الأشياء عليه؛ فيشغله بأعز الأشياء؛ وهو ذكر الله، والمداومة على طاعته، ومطالبته الإخلاص من نفسه؛ فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

ومن ترك ما لا يعنيه اشتغل بما يعنيه؛ وقال الحسن:"عليك بنفسك إن لم تشغلها أشغلتك".

(1) لأن النفس إن لم تشغلها شغلتك.

مِـنْ عَيْـبِهَا شِـدَّتُهُ فِـي غَـضَبِهْ ... وَذَاكَ أَمْـرٌ آيِـلُ لِعُطْـبِهْ[1]

لِأَنَّـهُ مِفْـتَاحُ نَـصْرِ نَفْـسِهْ ... وَبُعْـدُهُ عَـنْ ضَـبْطِهِ لِحِـسِّهْ

وَأَصْـلُهُ فِـي غِيـرَةٍ فِـي النَّفْسِ ... وَرُؤْيَـةِ الحَـقّ لَهَـا فِـي الجِنْسِ

دَوَاؤُهُ اسْـتِعْمَالُهُ وَصَـفَ الرِّضَـى ... وَرَدُّهُ الـنَّفْسَ لِأَحْكَـامِ القَـضَا

حَتَّـى تَلِـينَ لِجَمِـيعِ الخَلْـقِ ... مُـنْقَادَةً إِلَـى إِتِّـبَاعِ الحَـقِّ

وَغَـضَبُ المَـرْءِ لِغَيْـرِ رَبِّـهِ ... مِـنْ نَفْخَـةِ الـشَّيْطَانِ فِـي قَلْـبِهِ

قَـالَ الرَّسُـولُ الَّـذِي أَتَـاهُ ... لَا تَغْـضَبَنَّ عِـنْدَمَا اسْتَوْصَـاهُ[2]

إِذْ غَـضَبُ المَـرْءِ إِلَـى الهَـلَاكِ ... يَجُـرُّهُ بِقَـصْدِ الاسْـتِهْلَاكِ

السلمي

ومن عيوبها الغضب.

ومداواتها: حمل النفس على الرضا بالقضاء؛ فإن الغضب جمرة من الشيطان؛ ولأن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال أوصني؛ فقال: "لآ تغضب"؛ ولأن الغضب يخرج العبد إلى حد الهلاك. إذا لم يصحبه من الله تعالى زجر ومنع.

(1) أصل الغضب رؤية حق النفس والانتصار لها، ويتولد عن الغضب الحقد والمكر والخديعة وطلب التشفي.

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له أوصني؛ فقال عليه السلام: "لا تغضب... ثلاثا". أخرجه البخاري في كتاب الأدب.

مِـنْ عَيْـبِهَا الكَـذِبُ فِـي الأَخْـبَارِ وَذَاكَ مِـــنْ خَـــسَاسَةٍ وَعَـــارِ

دَوَاؤُهُ العِلْـــمُ بِقُـــبْحِ الكَـــذِبِ وَأَنَّـــهُ مُوْصِـــلٌ لِلْعَطَـــبِ

فِـي الـدِّينِ وَالدُّنْـيَا وَعِـنْدَ الـنَّاسِ بِالـــذُّلِّ وَالـــصَّغَارِ وَالإِبـــلَاسِ

وَقَـــدْ يَـــرَى لِطَلَـــبِ التَّبَاهِـــي وَرَفْـــضِهِ بِقَـــصْدِ وَجْـــهِ اللهِ

وَتَـــرْكِ قَـــصْدِ الـــنَّاسِ بِـــالكَلَامِ إِذْ قَـدْ أَتَـى عِـنْدَ سَـيِّدِ الأَنَـامِ

الـــصِّدْقُ يَهْـــدِي لِعَظِـــيمِ البِـــرِّ وَالبِـــرُّ يَهْـــدِي لِجِـــنَانِ قَـــادِرْ

وَكَـــذِبٌ يَهْـــدِي إِلَـــى الفُجُـــورِ وَذَاكَ بَـــابُ الـــوَيْلِ وَالثُّـــبُورِ[1]

السلمي

ومن عيوبها: الكذب.

ومداواتها: ترك الاشتغال برضا الخلق وسخطهم؛ فإن الذي يحمل صاحب الكذب على الكذب طلب رضا الناس؛ أو التزيين لهم، وطلب الجاه عندهم؛ فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الصدق يهدي إلى البر، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار... الحديث".

مِـنْ عَيْـبِهَا الـشُّحُ كَـذَاكَ الـبُخْلُ وَحُـــبُّ دُنْـــيَاهُ لِـــذَاكَ أَصْـــلُ[1]
دَوَاؤُهُ العِلْـــمُ بِحَـــالِ الدُّنْـــيَا وَأَنَّهَـــا قَلِـــيلَةٌ فِـــي المَحْيَـــى
فَانِـــيَةٌ حَلَالُهَـــا حِـــسَابُ زَائِلَـــةٌ حَـــرَامُهَا عِقَـــابُ
وَبُخْلُـــهُ مُـــصِيبَةٌ عَظِـــيمَةٌ رَذِيلَـــةٌ قَبِـــيحَةٌ ذَمِـــيمَةٌ
مَنْـشَأَهُ الأَصْـلِي خَـوْفُ الفَقْـرِ وَضَـعْفُ إِيمَـانٍ بِأَصْـلِ الأَمْـرِ
وَتُهْمَـــــةٌ لِقِـــــسْمَةِ الأَرْزَاقِ دُونَ رِضَـــى بِالـــوَاحِدِ الخَـــلَّاقِ
إِذْ مَـــنْعُهُ لِلْحَاضِـــرِ المُوْجُـــودِ مِـنْ سُـوءِ ظَـنٍّ كَـانَ بِالمَعْـبُودِ
قَـــالَ الرَّسُـــولُ أَنْفِقَـــنَّ بِـــلَالا وَلَا تَخَـــفْ مِـــنْ رَبِّـــنَا إِقْـــلَالا
وَقَـــالَ كُـــلُّ زَلَّـــةٍ وَإِثْـــمِ مِـنْ حُـبِّ دُنْـيَانَا فَكُـنْ ذَا فَهَـمِ
بِـــأَنْ تُـــرَى فِـــي حَلَـبَةِ الـسِّبَاقِ بِالقَـصْدِ فِـي الإِعْطَـاءِ وَالإِنْفَـاقِ
إِذْ لَـيْسَ فِـي الإِسْـرَافِ وَالإِقْـتَارِ خَيْـرٌ وَلَا بِـرٌّ وَعُـرْفُ جَـارِ[2]

---

(1) أصل البخل مخافة الفقر، ويتولد من خوف الفقر الحسد والشح والغضب والتعدي والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل،ودواء البخل العلم بأن الدنيا زائلة.
قال صلى الله عليه وسلم: "بريء من الشح من أقرى الضيف وأدى الزكاة واعطى في النائبة " رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(2) التوسط في الإنفاق وعدم الإسراف أو التقتير قاعدة من قواعد الشرع قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا).
قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية:
والمحارم القلبية أربعة:
1: الرياء وأصله الطمع، ودواؤه الورع.
2: والعجب وأصله الكبر، ودواؤه رؤية المنة لله، وأنك لا تستحق شيئا من حيث أنت.
3: والبخل وأصله خوف الفقر، ودواؤه العلم بأن الدنيا زائلة، وحالها حائل.
=

السلمي

ومن عيوبها: الشح، والبخل؛ وهما نتائج حب الدنيا.
ومداواتها: أن يعلم أن الدنيا قليلة، وأنها فانية، وأن حلالها حساب، وحرامها عذاب؛ كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"؛ وأن الله تعالى أخبر عنها أنها متاع الغرور؛ فلا يبخل بها، ولا يشح ويجتهد في بذلها، ولا يمسك منها إلا مقدار ما يدافع به وقته؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال لبلال: "ولا تخش من ذي العرش إقلالا".

4: والغضب وأصله رؤية حق النفس، ودواؤه النظر في مقبحاتها فكرا ونقلا.
فمن الكبر يتولد عدم الإنصاف، وبطر الحق، واحتقار الخلق، والترفع على عباد الله، واتباع الهوى
ومن خوف الفقر يتولد الحسد والشح والغصب والتعدي والسرقة، وأكل مال اليتيم، وأكل المال بالباطل.
ومن رؤية حق النفس والشفقة عليها يتولد الحقد والمكر والخديعة وطلب التشفي، ونحو ذلك؛ وقد قال تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق)، وقال تعالى: (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار).

مِنْ عَيْبِهَا فِي حَالِهَا بَعْدُ الأَمَلْ ... وَذَاكَ مِنْ نِسْيَانِهَا قُرْبُ الأَجَلْ

دَوَاؤُهُ دَوَامُ ذِكْرِ المَوْتِ ... وَالجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ خَوْفَ الفَوْتِ

فَمَنْ مَشَى فِي غَبْرَةِ الآمَالِ ... عِثَارُهُ فِي شَكْلِ الآجَالِ

وَسَتَرَى إِذَا انْجَلَى الغُبَارُ ... أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ[1]

وَقَالَ بَعْضُ سَلَفِ الأَنَامِ ... قَوْلاً صَحِيحاً وَاضِحَ الأَحْكَامِ

أَحِبَّ رَبًّا أَنَّهُ لا يُؤْمَنُ ... بِكُلِّ حَالٍ فَاحْذَرُوهُ تُؤْمَنُ

وَآمَنَ المَكْرِ فَذَاكَ خَاسِرُ ... وَخَائِفُ المَكْرِ لَبِيبٌ ظَافِرُ[2]

السلمي

ومن عيوبها: بعد أملها.
ومداواتها: تقريب الأجل، ويعلم أن بعض السلف قال: "أحسب أن الله لا يؤمن على حال؛ فاحذر الأحوال كلها.

---

(1) هذا البيت يذكرني بقصة المديني مع الجبلي حيث سأل الأول الثاني؛ وهو يريد التهكم منه: هل لحيتك أحسن من ذيل كلبك؟ أم ذيل كلبك أحسن من لحيتك؟
فأجابه الجبلي بهدوء – وكان من أولياء الله –:
"إذا اجتزت الصراط يوم القيامة فلحيتي أكرم عند الله من ذيل كلبي؛ أما إذا وقعت في النار فذيل كلبي أكرم".
هذا البيت يقال مثلا للمتسابقين على الفوز. واي فوز هنا؟ إنه الفوز برضا الله.

(2) يقول الله تعالى: (أفأمنوا مكر الله فلا يامن مكر الله إلا القوم الخاسرون). سور الأعراف. الآية 98.

مِـــنْ عَيْـــبِهَا اغْتِـــرَارُهَا بِالمَـــدْحِ بِغَيْـــرِ حَـــقٍّ وَهُـــوَ عَـــيْنُ الـــذَّبْحِ[1]

وَذَاكَ مِـــنْ سَـــخَفٍ وَمِـــنْ حَمَاقَـــهْ يُـــزْرِي بِمَـــنْ قَـــبْلَهُ وَذَاقَـــه

دَوَاؤُهُ العِلْـــمُ بِـــأَنَّ مَـــدْحَهُمْ لَـــيْسَ يُفِـــيدُ وَكَـــذَاكَ ذَمُّهُـــمْ

وَأَجْهَـــلُ النَّـــاسِ الَّـــذِي يَتْـــرُكُ مَـــا عِلْمُـــهُ لِأَجْـــلِ أَمْـــرٍ وَهِمَـــا

وَلِيَـــسْتَحِ العَـــبْدُ مِـــنْ مَـــوْلَاهُ مَهْمَـــا مُـــدِحَ بِغَيْـــرِ مَـــا أَتَـــاهُ

وَلِيَـــتَوَجَّه بِالثَّـــنَاءِ الأَكْمَـــلِ عَلَـــى الَّـــذِي سَـــتَرَهُ فِـــي الـــزَّلَلِ

وَمَـــنْ يَكُـــنْ يَغْتَـــرُّ بِالأَمْـــدَاحِ فَمَـــا لَـــهُ فِـــي الـــدِّيْنِ مِـــنْ فَـــلَاحِ

السلمي

ومن عيوبها: الاغترار بالمدائح الباطلة.

ومداواتها: أن لا يغره كلام الناس مع ما يعرفه بنفسه؛ فإن حقيقة الأمر يخلص إليهم دونهم، وأن ثناءهم عليه دون ما يعرفه الله منه، ويعرفه هو من نفسه. لا ينجيه؛ فلم يغتر به؟

---

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "أحثوا التراب في وجوه المادحين " أخرجه أبو داود في كتاب الأدب.

إذا كان المدح والثناء الحسن بما هو كائن مباح؛ بل أحيانا يكون مطلوبا لأنه يقوي همة الممدوح ويشجعه على الاتصاف بالفضائل وفعل الخيرات؛ فإنه يحرم الإطراء في المدح فضلا عن المدح بالمحرم أو الثناء على أهل البدع والأهواء؛ لأن ذلك مما يشجع على المنكر.

مِنْ عَيْبِهَا الحِرْصُ وَثُمَّ الحَسَدُ   كِلَاهُمَا مِنْ رَبِّنَا مُبْعِدُ

أَصْلُهُمَا ضَعْفُ قِوَى الإِيمَانِ   وَالبُعْدُ عَنْ مَنَاهِجِ الإِحْسَانِ

دَوَاؤُهُ العِلْمُ بِأَنَّ الحِرْصَا   مُؤَثِّرٌ فِي مُنْتَهَاهُ نَقْصَا

مَعْ أَنَّهُ لَا يَجْلُبُ الأَرْزَاقَا   وَلَيْسَ يَرْضَى فِعْلَهُ الخَلَّاقَا

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ كَتْبُ رِزْقِنَا   وَأَجَلٍ وَعَمَلٍ فِي خَلْقِنَا

كَذَا الشَّقَاوَةُ مَعَ السَّعَادَهْ   فَمَا يَفِيدُ النَّقْصُ وَالزِّيَادَهْ[1]

ثُمَّ دَوَاءُ الحَسَدِ المَشُومِ   بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لِلمَظْلُومِ

وَالعِلْمُ أَنَّهُ عَدُو النِّعْمَهْ   إِذْ قَصْدُه بِهِ حُلُول النِّقْمَهْ

وَكَوْنُهُ يُرِيْدُ حُكْمَهُ عَلَى   قِسْمَةِ مَوْلَاهُ الكَرِيمِ ذِي العُلَا

وَأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ اليَهُودِ   مَعَ ارْتِفَاعِ رُتْبَةِ المَحْسُودِ

هَذَا مَعَ ابْتِلَائِهِ بِالكَمَدْ   وَغَيْرِهِ مِنْ تَبِعَاتِ الحَسَدْ[2]

فَلَا وُصُولَ مِنْهُ لِلمَحْسُودِ   إِلَا اجْتِمَاعُ الغَمِّ وَالذُّنُوبِ

---

(1) يشير إلى الحديث الطويل المروي في الموضوع ومنه:"... ثم يكتب عمره ورزقه، وشقي هو أم سعيد؟... الحديث".

(2) الحسد يورث الكمد والهم والحزن.

السلمي

ومن عيوبها: الحرص، والحسد.

ومداواتها: أن يعلم أنه لا يستجلب بحرصه زيادة ما قدر الله من رزقه؛ كما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول للملك: "اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد"،

والله تعالى يقول: (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد).

وأن يعلم أن الحسد عدو نعمة الله، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تحاسدوا".

ونتيجة الحسد من قلة الشفقة على المسلمين.

مِنْ عَيْبِهَا الإِصرَارُ وَهِيَ مَقْفِرَةٌ مَعْ رَجَاءِ رَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٌ
وَذَا غُرُورٌ ظَاهِرٌ وَجَهْلُ لَيْسَ لَهُ فِي الصَّالِحَاتِ أَصْلُ
قَدْ ذَمَّ رَبِّي مَنْ طَرِيقَهُ اقْتَفَى وَكَانَ خَلَفاً فَاسِداً مَا خَلَّفَا
دَوَاؤُهُ العِلْمُ بِأَنَّ الغُفْرَانْ وَالعَفْوَ وَالرَّحْمَةَ لِأَهْلِ الإِحْسَانْ
فِي آلْ عِمْرَانَ وَلَمْ يُصِرُّوا شَرْطٌ لَدَى المُسْتَغْفِرِينَ ذِكْرُ[1]
وَسُورَةُ الأَعْرَافِ فِيهَا الرَّحْمَةْ سَابِقَةُ الإِحْسَانِ خُذْهَا حِكْمَةْ[2]
قَالَ أَبُو حَفْص وَبِالإِصْرَارِ يُهَاوِنُ العَبْدُ بِقَدْرِ البَارِ[3]

السلمي

ومن عيوبها: الإصرار على الذنب مع تمني الرحمة، ورجاء المغفرة.
ومداواتها: أن يعلم أن الله أوجب مغفرته لمن لا يصر على الذنب حيث قال: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾.
قال أبو حفص: "الإصرار على الذنب من التهاون بقدر الله".
ويعلم أن الله تعالى أوجب الرحمة للمحسنين، وأوجب المغفرة للتائبين حيث قال: ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾، وقال: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾.

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ سورة آل عمران الآية 135.

(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بآياتنا يومنون﴾ سورة الأعراف الآية 136.

(3) يعني أبو حفص الحداد.

مِـنْ عَيْـبِهَا أَنْ لَا تُجِـيبُ طَـوْعَا لَطَاعَـــةٍ وَلَا تُلْقِـــي سَـــمْعَا

وَذَاكَ مِـــنْ دَعْـــوَى لَـــدَيْهَا كَامِـــنَهْ حَتَّـــى غَـــدَتْ ذَاتَ اغْتِـــرَارِ آمِـــنَهْ

دَوَاؤُهُ بِالجُـــــوعِ وَالأَسْـــــفَارِ وَالجُهْـدِ فِـي اللَّـيْلِ وَفِـي الـنَّهَارِ

حَتَّـــى تَـــصِيرَ إِلْفَهَـــا بِكُـــرْهِ وَذَاكَ لِلطَّـــوْعِ خَفِـــيفاً يُنْهِـــي

قَـــدْ قَـــالَ طَـــيْفُورُ هُـــوَ البِـــسْطَامُ أَهْـــوَنُ مَـــا لَقَـــيْتُ فِـــي أَيَّـــامِ[1]

لِلـــنَّفْسِ مَـــا لَـــمْ تُجِـــبْ لِلطَّـاعَـــةْ طَـــوْعاً بِتَـــرْكِ المَـــاءِ وَالمَجَاعَـــةْ[2]

حَـــوْلاً مِـــنَ الـــزَّمَانِ بَاسْـــتِيفَاءِ فَهَـــذِهِ أَحْـــوَالِ ذِي الـــوَلَاءِ

دَعْـــوَاكَ وَالإِشْـــرَافُ لِلمَـــرَاتِبْ مُعْتَبِـــراً مَـــا لَـــكَ مِـــنْ مَـــنَاقِبْ

السلمي

ومن عيوبه: أن لا تجيب إلى طاعة الله طوعا.

ومداواتها: بالجوع، والعطش، والتقطع بالأسفار، والحمل على المكاره؛ ولذلك سمعت منصور بن عبد الله يقول: "سمعت عمي البسطامي يقول: سمعت أبي يقول: قال رجل لأبي يزيد البسطامي: "ما أشد ما لقيت في سبيل الله؛ فقال: لا يمكن وصفه؛ فقال: ما أهون ما لقيت نفسك في سبيل الله؛ فقال: أما هذا فنعم. دعوتها إلى شيء من الطاعات؛ فلم تجبني طوعا؛ فمنعتها[3] سنة كاملة".

---

(1) طيفور البسطام: هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي من أعلام الطريق وأهل التصوف. كان جده مجوسيا وأسلم. توفي سنة 264 هجرية، وإليه تنسب الطريقة الطيفورية.

(2) سئل يوما: "بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟؛ فقال: ببطن جائع وبدن عار".
وسئل متى يكون الرجل متواضعا؟ فقال: "إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا، ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه".

(3) أي منعتها من شهواتها المباحة شرعا سنة كاملة.

مِـنْ عَيْـبِهَا الجَمْـعُ مَعـاً وَالمَـنْعُ وَذَاكَ ضُــرٌّ مَــا لَدَيْــهِ نَفْــعُ

وَأَصْــلُهُ الــبُخْلُ وَخَـوْفُ الفَقْـرِ وَحُــبُّ دُنْـيَا مَـا بِهَـا مِـنْ خَيْـرِ

دَوَاؤُهُ اسْتِـشْعَارُهُ قُـرْبَ الأَجْـلْ وَأَنَّ مَالَــــهُ لِغَيْــــرِهِ انْـــتَقَلْ

فَيَـــنْفَعُ الغَيْـــرَ وَلَا يَـــنْفَعُهُ إِذْ كَــانَ فِــي حَــيَاتِهِ يَمْــنَعُهُ

مَـــع أَنَّــهُ مُحَاسَـــبٌ عَلَــيْهِ مُطَالِـــبٌ بِحَقِّـــهِ لَدَيْـــهِ

قَـالَ الرَّسُـولُ كُـلُّ مَـا قَدَّمْـتَا مَالَــكَ وَالغَيْــرُ لِمَــنْ تَــرَكْتَا

وَلَــكَ مَــا لَبِــسْتَهُ إِنْ أَبْلَيْــتَهُ أَوِ الَّــذِي أَكَلْــتَ إِنْ أَفْنَيْــتَهُ

ثُــمَّ الَّــذِي صَــدَّقْتَهُ أَمْـضَيْتَهُ وَعِـنْدَ رَبِّـنَا غَـداً وَجَدْتَــهُ[1]

فَاخْتَــرْ لِنَفْــسِكَ عَلَــى بَـصِيرَهْ وَلَا تَكُــنْ مِمَّــنْ يُمْـسِي مَـصِيرَهْ

السلمي

ومن عيوبها: حرصها على الجمع والمنع.

ومداواتها: أن يعلم انبهام عمره، وقرب أجله؛ فيجمع على قدر نفسه، ويمنع بقدر حياته؛ فمن لا يأمن حصول المتابعة على نفسه جهل. مع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ فقالوا: ليس منا أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه؛ فقال: مالك ما قدمت، ومال وارثك ما أخرت".

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "يقول ابن آدم مالي. مالي؛ وليس له مال إلا ما لبس فأبلى، أو أكل فأفنى، أو تصدق فأبقى".

مِـنْ عَيْـبِهَا الـصُّحْبَةُ لِلمُخَالِفِـينَ	وَأَهْـلِ الأَغْـرَاضِ مِـنَ المُوَالِفِـينَ[1]
وَذَاكَ مِــــنْ بَقِـــيَّةِ النُّــــزُوعِ	لِفَعْلِهِــــمْ وَطَلَــــبِ الـــرُّجُوعِ
دَوَاؤُهُ صُـــــحْبَةُ أَهْــــلِ الطَّاعَـــهْ	وَالتَّابِعِــينَ الحَــقَّ وَالجَمَاعَـــهْ
فَكُـلُّ مَـنْ يَـصْحَبُ غَيْـرَ جِنْسِهِ	فَجَاهِــــلٌ بِـــاللهِ قَـــدْرَ نَفْـــسِهِ
أَفْـضَلُ لِلمَــرْءِ جُلُــوسٌ وَحْـدَهُ	وَلَا يَكُــنْ جَلِـيسَ سُــوءٍ عِــنْدَهُ
وَمُــشَبِّهُ القَــوْمِ فَــذَاكَ مِــنْهُمُ	وَمُكْثِــرُ الـــسَّوَادِ عُــدَّ فِـيهِمُ[2]
هَـذَا الَّـذِي ذَكَـرْتُ فِـي الحَـدِيثِ	عَـنْ سَـيِّدِ الخَلْـقِ فَخُـذْ حَـدِيثِ
وَقِــيلَ إِنَّ صُـــحْبَةَ الأَشْـــرَارِ	تَقْـضِي بِسُوءِ الظَّـنِّ فِـي الأَخْـيَارِ
وَقِــيلَ مَهْمَــا بَعُــدَ الفُــؤَادُ	عَــنْ رَبِّــهِ عَارَضَــهُ الفَــسَادُ
بِمَقْــــتِ كُــــلِّ عَابِــــدٍ أَوَّاهِ	فَاسْــتَوجَبَ المَقْــتَ بِعَــدْلِ اللهِ
وَعَــسْكَرَ أَبُــو تــرَابَ النَّخْــشَبِي	قَـالَ كَلَامـاً حَـسَناً فِـي المَـذْهَبِ[3]

---

(1) المخالفين للشرع.

(2) مكثر السواد: الذي يكثر من رفقة أهل المعاصي.
قال صلى الله عليه وسلم: "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير... الحديث " انضره فيما سبق.

(3) عسكر النخشبي: هو أبو تراب عسكر بن حصن النخشبي - نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر - من جلة مشايخ خراسان وأكابرهم. صحب الأصم، وتتلمذ على علي الرازي.
كان قوته ما وجده، ولباسه ما ستره، ومسكنه حيث نزل. توفي سنة 245 هجرية
من أقواله:
- " إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله؛ فإذا أخلص وجد حلاوته ولذته وقت مباشرة العمل".

القَلْـبَ مَهْمَـا أَلِـفَ الإِعْرَاضَـا عَـنْ رَبِّـهِ يُوَاقِـعُ الأَعْرَاضَـا[1]

أَعْـرَاضُ أَهْـلِ الجِـدِّ وَالعِـنَايَهْ وَالـصِّدْقِ وَالإِخْـلَاصِ وَالـوِلَايَهْ[2]

وَذَاكَ بَـابُ الهُلْـكِ فِـي الوُجُـودِ بِـوَعْدِ رَبِّ الـوَاحِدِ الـوَدُودِ

إِذْ مَـنْ أَذَى وَلِـيَّهُ قَـدْ حَارَبَـهْ وَمَـنْ يُطِـقْ ذَاكَ أَنْ يُقَارِبَـهْ[3]

السلمي

ومن عيوبها: صحبة المخالفين، والمعارضين عن الحق.

ومداواتها: الرجوع إلى صحبة الموافقين، والمقبولين عند الله تعالى؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تشبه بقوم؛ فهو منهم"، وقال بعض السلف: "صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار"، وقال بعضهم: "القلوب إذا بعدت عن الله مقتت القائمين بحق الله".

(1) الأعراض: جمع عرض.

(2) يشير في ذلك إلى قول عسكر النخشبي: "إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أعراض أولياء الله".

(3) يشير إلى الحديث القدسي: "من عادى - أو آذى - لي وليا فقد آذنته بحرب".

مِـنْ عَيْـبِهَا اسْتِرْسَـالُهُ فِـي الغَفْلَـهْ ... وَتَــرْكُهُ العَمَــلَ حَــالَ المُهْلَــهْ

وَذَاكَ مِــنْ نُقْــصَانِ مَــا لَدَيْــهِ ... مِــنَ اليَقِــينِ وَالَّــذِي إِلَــيْهِ

دَوَاؤُهُ فِــي ذَلِــكَ المُــرَاقَبَهْ ... وَالجِــدُّ وَالتَّــشْمِيرُ وَالمُطَالَــبَهْ

وَكَــوْنُهُ مُحَاسِــباً لِنَفْــسِهِ ... وَذَاكِــراً يَــوْمَ حُلُــولِ رَمْــسِهِ

وَسَــامِعاً أَخْــبَارَ أَهْــلِ الجِــدّ ... لِتَــنْهَضَ الهِمَّــةُ عِــنْدَ القَــصْدِ

لِأَنَّ حَــيَّ القَلْــبِ بِالــتِّذْكَارِ ... يُعِــينُ ذَا الأَعْمَــالِ وَالأَذْكَــارِ

وَمَــيِّتَ القَلْــبِ فَــلَا يَــنْفَعُهُ ... ذِكْــرٌ وَلَا فِكْــرٌ وَلَا يَجْمَعُــهُ

السلمي

ومن عيوبها: الغفلة.

ومداواتها: أن يعلم أنه ليس بمغفول عنه، وأن الله تعالى يقول: ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾، ويعلم أنه محاسب على الخطرة، والهمة، ومن تحقق هذا راقب أوقاته، وراعي أحواله؛ فيزول عنه بذلك عيب الغفلة.

مِـنْ عَيْـبِهَا التَّجْـرِيدُ مِـنْ تَكَـسُّبٍ   وَالتَّـــرْكُ لِلعَمَـــلِ وَالتَّـــسَبُّبِ
لِكَـــيِّ يُقَـــالَ إِنَّـــهُ تَـــوَكَّلَا   مَـــعْ أَنَّـــهُ لِحُكْـــمِ ذَاكَ أَهْمَـــلَا
إِذْ يَطْلُـــبُ الـــرِّزْقَ بِالاسْتِـــشْرَافِ   وَيَـــسْخَطُ لِآتٍ بِالانْـــصِرَافِ
وَذَاكَ مِـــنْ جَهْـــلٍ وَمِـــنْ تَدْبِيـــرِ   وَعَـدَمِ الـتَّفْوِيضِ فِـي الأَمُـورِ[1]
إِذْ قَـدْ أَتَـى فِـي ذَاكَ نَـصٌّ أَغْـرَبَا   أَطْـيَبُ أَكْـلِ المَـرْءِ مِمَّـا اكْتَـسَبَا
مَـعْ أَنَّ هَـذَا لَـيْسَ فِـيهِ عَجَـبُ   وَلَا رِيَـــاءَ يَقْتَـــضِيهِ الكَـــسْبُ
وَمَـــنْ يَكُـــنْ مِـــنْ حَالِـــهِ التَّجْـرِيدُ   وَهُـــوَ بِـــهِ لِلخَيْـــرِ يَـــسْتَفِيدُ
مَـعَ انْقِطَـاعِ نَفْـسِهِ عَـنْ غَيْـرِهِ   فَحُكْمُـــهُ فِـــيهِ دَوَامُ الأَمْـــرِ
كَحَـــالِ أَهْـــلِ الـــصُّفَّةِ الكِـــرَامِ   الـــسَّادَةِ الأَئِمَّـــةِ الأَعْـــلَامِ

(1) ذلك ما دأب عليه غلاة المتصوفة الذين يتجردون عن طلب أسباب العيش ويقولون إنهم متوكلون؛ وفي أمثالهم قال عمر رضي الله عنه: "لو توكلتم على الله حقا لتزودتم".
إذ أن الشرع يأمرنا بالقيام بالأسباب ثم انتظار التوفيق من الله تعالى؛ وفي ذلك يقول الرسول الأكرم: "اعقلها وتوكل"، وقال: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما رزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا"؛ فالتوكل لا ينفي القيام بالأسباب.
قال الشيخ زروق في النصيحة الكافية: "قال العلماء: من وجد كفاية عن الأسباب فالله أغناه؛ وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب اتكالا على الناس وهو قادر على الاكتساب".

السلمي

ومن عيوبها: ترك الكسب، والقعود عنه إظهارا للخلق أنه قعد متوكلا. ثم يتشوف للإرفاق، ويتسخط إذا لم تأته الأرزاق.

ومداواتها: التزام الكسب؛ كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أطيب ما أكل الرجل من كسبه". ظاهرا، ويتوكل باطنا؛ ليكون مكتسبا مع الخلق في الظاهر، ومتوكلا على الله في الباطن.

مِـــنْ عَيْـــبِهَا القِـــيَامُ بِالـــدَّعَاوِي وَتَـــرْكُ مَـــا بِهَـــا مِـــنَ المَهَـــاوِي

مَـــعَ الفِـــرَارِ مِـــنْ عُلُـــومِ الظَّاهِـــرْ وَفَقْـــدِ مَـــا تَحْظَـــى بِـــهِ الـــسَّرَائِرْ

وَذَاكَ مِـــنْ جَهْـــلِ الفَتَـــى بِالـــدِّينِ وَفَقْـــدِهِ التَّحْقِـــيق بِاليَقِـــينِ

دَوَاؤُهُ العِلْـــمُ بِـــأَنَّ الدَّعْـــوَى تُفْـــضِي إِلَـــى مُـــصِيبَةٍ وَبَلْـــوَى

وَأَنَّ رَبَّ الخَلْـــقِ بِالظَّوَاهِـــرِ أَمَـــرَنَا حَقًّـــا وَبِالـــسَّرَائِرِ

فَلَـــيْسَ هَـــذَا نَافِعـــاً بِـــلَا ذَا وَلَا يَقُـــومُ ذَا بِـــدُونِ هَـــذَا

وَالعِلْـــمُ قَـــالَ المُـــصْطَفَى فَرِيـــضَهْ وَهُـــوَ لَدَيْـــهِ خَـــضِرَةٌ عَرِيـــضَهْ[1]

فَلِـــتَطْلُبِ العِلْـــمَ بِطُـــولِ الدَّهْـــرِ عِلْـــمَ الحَـــلَالِ وَإِتْـــبَاعَ الأَمْـــرِ

فَـــإِنْ تَقُـــمْ بِـــذَاكَ كُـــنْتَ مُـــسْتَقِيمْ وَيَفْـــتَحُ اللهُ بِفَـــضْلِهِ العَظِـــيمْ[2]

فَـــالعِلْمُ بَحْـــرٌ مَـــا لَـــهُ نِهَايَـــهْ وَلَا إِلَـــى آخَـــرِهِ غَايَـــهْ[3]

إِذْ جَـــاءَ فَـــوْقَ كُـــلِّ ذِي عِلْـــمٍ عَلِـــيمْ وَمُنْتَهَـــى العِلْـــمِ إِلَـــى اللهِ العَظِـــيمْ[4]

---

(1) قال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"؛ والمسلم كلمة عامة تنصب على الذكر والأنثى.

(2) يرى الشيخ زروق بأن الحقيقة قائمة على الشريعة؛ لذا فإن علم الشريعة واجب وجوبا عينيا، وأن الفتح لا يكون إلا عن طريق العلم؛ وذلك لتأكيد الحقيقة باليقين.

(3) يقول الله تعالى في سورة الكهف: (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)

(4) يشير إلى قوله تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم).

السلمي

ومن عيوبها: الفرار بما يوجبه عليه ظاهر العلم إلى الدعاوى، والأحوال.

ومداواتها: ملازمتها العلم؛ فإن الله تعالى يقول (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)، وقال: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

مِـــنْ عَيْـــبِهَا اسْـــتِعْظَامُهُ عَطَـــاهْ وَمَـــنُّهُ عَلَـــى الَّـــذِي أَعْطَـــاهْ

وَذَاكَ مِـــنْ رُؤْيَـــتِهِ لِمُلْكِـــهِ وَبُخْلِـــهِ الَّـــذِي قَـــضَى بِهُلْكِـــهِ

دَوَاؤُهُ رُؤْيَـــــةُ مَـــــنِّ اللهِ فِـــي كُـــلِّ مَـــا يُعْطِـــي بِـــلَا تَـــنَاهِ[1]

وَإِنَّمَـــا هُـــوَ أَمِـــينٌ حَـــافِظُ فِـــي مَالِـــهِ الَّـــذِي لَا يُلَاحِـــظُ

يُوصِـــلُ الأَمْـــرَ عَلَـــى مَـــا أَمَـــرَا حَـــسْبَمَا قَـــسَّمَ أَوْ مَـــا قَـــدَّرَا

وَالفَخْـــرُ لَا يَـــصْلُحُ بِالتَّوْصِـــيلِ وَلَا بِقِـــسْمِ وَاجِـــبِ المَحْـــصُولِ

إِذْ كُـــلُّ مَـــا يَمْلِكُـــهُ مِـــنْ فَـــضْلِهِ ثُـــمَّ لَـــهُ انْتِـــزَاعُهُ بِعْدْلِـــهِ

وَمَـــنْ يَكُـــنْ لَـــمْ يَمْلِـــكِ الأَمُـــورَا كَـــيْفَ يَـــرَى بِـــبَذْلِهَا سُـــرُورَا

السلمي

ومن عيوبها: استعظام ما تعطى، وما تبذل، والافتتان به على من يأخذ.
ومداواتها:أن يعلم أنه يوصل إليهم أرزاقهم، وأن الرزاق والمعطي في الحقيقة هو الله؛ وأنه واسطة، ولا يتعاظم في إيصال حق إلى مستحق.

---

(1) تناه: أي انتهاء، أو حدود.

مِــنْ عَيْــبِهَا إِظْهَــارُهُ لِلْفَقْــرِ مَــع كِفَايَــةٍ وَرِزْقٍ يَجْــرِي

وَذَالَ مِــنْ طَمَعِــهِ وَخِــسَّتِهْ وَفَقْــدِهِ يَقِيــنَهُ مَــع هِمَّــتِهْ

دَوَاؤُهُ إِظْهَــارُهُ الكِفَايَــةَ مَــع قِلَّــةٍ وَصَــبْرِهِ بِالغَايَــةْ

فَــابْنُ نُجَــيْدٍ قَــالَ فِــي التَّــصَوُّفِ قَــوْلاً صَــحِيحاً ظَاهِــرَ التَّــصَرُّفِ[1]

كَــانَ الَّــذِي يَــدْخُلُ فِــي الطَّــرِيقَة يَبْنِــي عَلَــى الحَــقِّ مَــع الحَقِــيقَة

فَيَفْتَقِــرِ بَعْــدَ الغِنَــى وَيَــسْتَتِرْ بِفَقْــرِهِ فِــي الحَــالِ كَــيْ لَا يَــشْتَهِرْ

وَالـيَومَ صَارَ الحَالُ عَكْسَ الحَالِ إِذْ يُظْهِــرُ الفَقْــرَ كَثِيــرُ المَــالِ

وَهَــذِهِ مُــصِيبَةٌ عَظِــيمَة رَذِيلَــةٌ قَبِــيحَةٌ ذَمِــيمَة

قَــدْ جُمِعَــتْ مَــعَ الــنِّفَاقِ وَالــرِّيَا إِيــثَارُهُ الدُّنْــيَا وَحُــبُّ الأَغْنِــيَا

وَثُلْــثُ الــدِّينِ بِــذَاكَ يَــذْهَبُ إِذْ التَّــزَيُّنُ عَلَــيْهِ يَغْلِــبُ

السلمي

ومن عيوبها: إظهار الفقر مع الكافة.
ومداواتها: إظهار الكفاية مع القلة. سمعت جدي[2] رحمه الله تعالى يقول: "كان الناس يدخلون في التصوف أغنياء؛ ويفتقرون، ويظهرون الغنى. في هذا الوقت يدخلون في التصوف فقراء، ويستغنون. ثم يظهرون للناس الفقر".

(1) ابن نجيد: تمت الترجمة له سابقا.

(2) يقصد جده من أمه أبو عمر اسماعيل بن نجيد السلمي؛ وقد عاش أبو عبد الرحمان في كنف جده هذا فنسب إلى سليم؛ فقيل عنه السلمي.

مِـــنْ عَيْـــبِهَا رُؤْيَـــتُهُ لِفَـــضْلِهِ ... عَلَـى قَـرِينٍ صَـاحِبٍ مِـنْ أَهْلِـهِ

وَذَاكَ مِـــنْ جَهَالَـــةٍ بِالأَصْـــلِ ... وَخِـسَّةٍ لَاحِقَـةٍ فِـي الفَـضْلِ

دَوَاؤُهُ رُؤْيَـــــتُهُ لِنَفْـــــسِهِ ... بِذَنْـــبِهِ وَعَيْـــبِهِ وَلُبْـــسِهِ

ثُـمَّ شُـهُودُ الفَـضْلِ لِلإِخْـوَانِ ... بِمُوجِـبَاتِ ظَاهِـرِ الإِيمَـانِ

وَلَا يَـــصِحُّ ذَاكَ دُونَ نَظَـــرِهْ ... لِجُمْلَـةِ الخَلْـقِ بِمَـا فِـي خَبَـرِهْ

مِـنْ أَنَّهُـمْ أَفْـضَلُ مِـنْهُ أَبْـداً ... مَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَالِحاً وَمَنْ عَدَا

فَمَـــنْ رَأَى لِنَفْـــسِهِ فَـــضِيلَهْ ... فَهُـوَ الَّـذِي فِـي نَفْـسِهِ رَذِيلَـهْ

وَمَـنْ يـرَى الفَـضْلَ لِكُـلِّ الـنَّاسِ ... فَـذَاكَ خَيْـرُ مَـا بِـهِ مِـنْ بَـاسِ

وَنَحْـوُ هَـذَا قَـوْلَةُ الـسَّجَزِي ... العَـــالِمُ المُقَـــدَّمُ الزَّكِـــي

مَـا لَـمْ تَـرَ لِنَفْـسِكَ الفَـضِيلَهْ ... فَلَـكَ فَـضْلُ وَاعْكِـس الـرَّذِيلَهْ[1]

(1) - طلب رجل من بشر الحافي أن يحدثه؛ فامتنع؛ فقال له الرجل: "ما ذا تقول لله إذا لقيته يوم القيامة، وقال لك: لم لا تحدث الناس؟ فقال بشر: أقول يارب قد أمرتني بمخالفة نفسي؛ وإن نفسي كانت تشتهي الحديث والرياسة فخالفتها، ولم أعطها سؤلها".

- وكان يقول: "سكون النفس إلى قبول المدح لها. أشد عليها من ذل المعصية، ولا يضر الثناء من عرف نفسه".

السلمي

ومن عيوبها: رؤية فضله على إخوانه، وأقرانه.

ومداواتها: العلم بنفسه، ولا أعلم به منه، وحسن الظن بأقرانه ليحمله ذلك على احتقار نفسه؛ ورؤية فضل إخوانه، وأقرانه؛ ولا يصح له ذلك إلا بعد أن ينظر إلى الخلق بعين الزيادة، وينظر إلى نفسه بعين النقصان.

كذلك سمعت جدي يقول: "سمعت أبا عبد الله السجزي يقول: لك فضل ما لم تر فضلك؛ فإذا رأيت فضلك؛ فلا فضل لك".

مِـــنْ عَيْـــبِهَا اسْـــتِجْلَابُهُ لِلفَـــرَحِ بِاللَّهْـــوِ وَاللَّعِـــبِ ثُـــمَّ المَـــرَحِ[1]

وَذَاكَ مِـــنْ جَهْـــلٍ بِحَـــالِ الـــوَقْتِ وَتَـــرْكِ خَـــوفِ مُوجِـــبَاتِ المَقْـــتِ

دَوَاؤُهُ العِلْـــــــمُ بِــــــأَنَّ اللهَ لَا يُحِـــبُّ مَـــنْ بِفَـــرَحٍ قَـــدْ شُـــغِلَا[2]

وَمِـنْ صِـفَاتِ المُـصْطَفَى المُخْـتَارِ دَوَامُ حُـــــزْنِهِ مَـــــعَ الأَفْكَـــــارِ[3]

وَفِـي الحَـدِيثِ قَـدْ أَتَـى عَـنْ رَبِّنَا بِأَنَّـــهُ يُحِـــبُّ قَلْـــباً قَـــدْ حَـــزِنَا

قَــالَ ابْــنُ دِيــنَار اللَّبِــيبُ مَالِــكْ كَلِمَـــــةً نَافِعَـــــةَ المَـــــسَالِكْ[4]

إِنْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي القَلْـبِ حُـزْنٌ خَـرِبَا مِـثْلَ خَـرَابِ البَـيْتِ مَهْمَـا خَـرِبَا

السلمي

ومن عيوبها: حمل النفس ما يستجلب لها الفرح.

ومداواتها: أن الله يبغض الفرحين لقوله تعالى: (إن الله لا يحب الفرحين)؛ وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان دائم الأحزان متواصل الفكر؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب كل قلب حزين"، وقال مالك بن دينار: "إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب؛ كما أن البيت إذا لم يسكن خرب".

---

(1) المنهي عنه هو الإكثار من استجلاب أسباب الفرح؛ وإلا فإن الترويح عن النفس مباح حسب ما يستفاد من الحديث الشريف: "إن النفس لتصدأ كما يصدأ الحديد".

(2) وذلك إذا اشتغل باللهو على الدوام / أو أفرط فيه؛ وإلا فإن الترويح عن النفس مباح ومطلوب ما لم يكن في معصية.

(3) فلقد كان عليه السلام دائم الفكر متواصل الأحزان؛ وهو مقام الإحسان

(4) مالك بن دينار: زاهد بصري مشهور. عد من ثقاة التابعين. كان يكتب المصاحف بالأجرة، ويقتات من ثمنها. أقام أربعين سنة لا يأكل إلا من عمل يده. استشهد به البخاري، ووثقه النسائي. توفي سنة 127 هجرية. انظر سير أعلام النبلاء - وشذرات الذهب.

كان يقول: "إذا تعلم العبد العلم ليعمل به كثر علمه، وإذا تعلمه لغير العلم زاده فجورا وتكبرا واحتقاراللعامة".

مِـــنْ عَيْـــبِهَا رُؤْيَـــتُهُ لِـــصَبْرِهِ مَـعَ أَنَّـهُ مِـنْ مُوجِـبَاتِ شُـكْرِهِ
وَذَاكَ مِـــنْ غَلَطِـــهِ فِـــي نَفْـسِهِ وَعَـــدَمِ احْـــتِذَارِهِ مِـــنْ لُبْـــسِهِ
دَوَاؤُهُ رُؤْيَـــــتُهُ لِلـــــرَّحْمَهْ فِـــي كُـــلِّ حَـــالٍ نِعْمَـــةً وَنِقْمَـــهْ
إِذْ لُطْفُـــــهُ مُـــــلَازِمٌ لِلقَـــــدَرِ كَمَـا أَتَـى عَـنْ رَبِّنَا فِـي الخَبَـرِ[1]
وَأَنَّـــهُ لَا يَقْـــضِي لِلعَـــبْدِ قَـــضَا إِلَا وَفِـــيهِ خَيْـــرَهُ كَمَـــا مَـــضَى
قَـــالَ أَبُـــو عُـــثْمَان كُـــلُّ الخَلْـــقِ مَـع الإِلَـه فِـي مَقَـامِ الـصِّدْقِ[2]
أَعْنِـي بِـهِ الـصِّدْقَ بِحَـالِ الـشُّكْرِ وَهُـــمْ يَظُـــنُّوهُ مَقَـــامَ الـــصَّبْرِ

السلمي

ومن عيوبها: أن يكون في محل الشكر؛ وهو يظن أنه في مقام الصبر.
ومداواتها: رؤية نعم الله في جميع الأحوال. سمعت سعيد بن عبد الله يقول: سمعت عمي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: "الخلق كلهم مع الله تعالى في مقام الشكر، ويظنون أنهم معه في مقام الصبر".

(1) يشير إلى الحديث الشريف: "لو اطلعتم على الغيب لوجدتم ما فعل ربكم خيرا".
(2) أبو عثمان الحيري: سبقت الترجمة له.

مِـنْ عَيْـبِهَا التَّـرخِيصُ وَالـتَّأْوِيلُ وَتَــرْكُ مَــا يَهْــدِي لَــهُ الدَّلِــيلُ

وَذَاكَ مِـــنْ مُجَافَـــاةِ الحَـــقِّ وَعَــدَمِ الحَــقِّ بِحَــالِ الــصِّدْقِ

دَوَاؤُهُ مِـــــنْ ذَا بِالانْتِـــــبَاهِ وَتَــرْكُ كُــلِّ مُــوجِبِ اشْــتِبَاهِ

لِمَـــا أَتَـــى فِـــيهِ مِـــنَ التَّحْذِيــرِ وَأَخْــــذِهِ بِأَوْثَــــقِ الأُمُــــورِ

إِذْ ذَاكَ مِــــنْ شَـــهْوَتِهِ وَلَعِـــبِهْ وَنَقْــصِهِ فِــي حَالِــهِ وَمَذْهَــبِهْ

السلمي

ومن عيوبها: تناول الرخص بالشبهات.

ومداواتها: اجتناب الشبهات؛ وأنها تؤدي إلى فعل الحرام. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلال بَيِّنَ والحرام بين، وبينهما مشتبهات؛ فمن اجتنبهن فهو أسلم لدينه وعرضه، ومن واقعهن وقع في الحرام؛ كالراعي حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى. ألا وإن لكل ملك حمى. ألا وإن حمى الله محارمه".

مِـنْ عَيْـبِهَا إِغْـضَاؤُهُ عَـنْ نَفْـسِهِ فِـي عَثْـرَةٍ أَوْ زَلَّـةٍ لِأُنْـسِهِ
بِـرَاحَةٍ فِـي تَـرْكِهِ لِعَتْـبِهَا وَذِلَّـةٍ عِـنْدَ شُـعُورِ عَيْـبِهَا
وَذَاكَ أَصْـلُهُ الرِّضَـى عَـنْ نَفْـسِهِ فِـي يَـومِهِ وَغَـدِهِ وَأَمْـسِهِ
دَوَاؤُهُ تَـدَارُكُ الـزَّلَّاتِ بِـتَوْبَةٍ لِجُمْلَـةِ العَثَـرَاتِ
قَـالَ أَبُـو عُـثْمَان لِلمُـرِيدِين بَلِـيَّةٌ تُـرْدُّهُمَ مُـرْدِين[1]
إِغْـضَاؤُهُمْ عَـنْ عَثَـرَاتٍ تَقَـعْ وَتَـرْكُهُمْ دَوَاءٍ ذَاكَ أَفْـضَعْ
لِأَنَّـهُ تَعْـتَادُهُ الـنُّفُوسُ فَيَحْـصُلُ الـضُّرُّ بِـهِ وَالـبُؤْسُ

السلمي

ومن عيوبها: الإغضاء عن نفسه في عثرة تقع به أو زلة وأمثالها.
مداواتها: تدارك الزلات، والتوبة من جميع العثرات؛ كذلك سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: "عامة المريدين من إغضائهم مع عثرة تقع لهم، أو هفوة، وترك مداواتها في الوقت بدواء حتى تعتاد النفس ذلك فتسقط من درجة الإرادة".

(1) أبو عثمان الحيري: سبقت الترجمة له - مردين: من الردى أي الهلاك.

مِـــنْ عَيْــبِهَا اعْتِـــزَازُهُ بِالخَـــارِقْ وَبِمَــــنَامِهِ المُــــصِيبِ الــــصَّادِقْ
وَذَا غُـــرُورٌ مَــــا لَــــهُ حَقِــــيقَهْ إِهْمَالُــــهُ مِــــنْ أَدَبِ الطَّـــرِيقَهْ
فَمَـــنْ يَكُـــنْ يَعْـــتَمِدُ الكَـــرَامَهْ فَعَـــنْ قَـــرِيبٍ تَعْـــرُهُ الـــنَّدَامَهْ
وَمَـــنْ يَكُـــنْ يَعْتَبِـــرُ المَـــنَامَاتْ فَهُـــوَ الَّـــذِي تَفُـــوتَهُ المَقَامَـــاتْ
دَوَاؤُهُ فِـــــي ذَاكَ الإِعْـــــرَاضُ وَتَـــرْكُ مَـــا تَدْعُـــو إِلَـــيه الأَغْـــرَاضُ
وَخَـــوْفُهُ مِـــنْ كَـــوْنِهِ اسْـــتِدْرَاجَا يَكْـــسِبُهُ وَجُـــودُهُ اعْـــوِجَاجَا
قَـــالَ الجَنِـــيدُ العَـــالِمُ الزَّكِـــي أَلْطَـــفُ مَـــا يُخَـــادِعُ الوَلِـــي[1]
بِـــهِ الكَـــرَامَةُ أَوِ المَعُـــونَهْ إِذْ قَـــدْ يَـــرَى بِكُلِّهَـــا شُـــؤُونَهْ

السلمي

ومن عيوبها: الاغترار بالكرامات.
ومداواتها: أن يعلم أن أكثرها اغترارات واستدراج؛ والله تعالى يقول: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)؛ وقد قال بعض السلف:" ألطف ما يخادع به الأولياء الكرامات، والمعونات".

(1) الجنيد: سبقت الترجمة له.
إن ظهور الكرامة على يد الصوفي قد يكون استدراجا؛ لذا ينبغى عدم صرف الهمة لاكتسابها؛ لأنها قد تكون استدراجا؛ قال الصوفية: "الكرامة / الاستقامة".

مِـــنْ عَيْـــبِهَا إِيـــثَارُهُ لِلْأَغْنِـــيَا وَحُـــبُّهُمْ دُونَ الـــثِّقَات الأَوْلِـــيَا
وَذَاكَ مِـــنْ حُـــبِّ الَّـــذِي عِـــنْدَهُمْ وَهُـــوَ بِالأَطْمَـــاعِ قَـــدْ يُـــتَّهَمْ
يَحْظَـــى بِـــذُلٍّ وَبِكُـــلِّ مَنْقَـــصَهْ وَلَـــمْ تَـــزَلْ عِيـــشَتُهُ مُنَغَّـــصَهْ
دَوَاؤُهُ جُلُوسُـــــــهُ لِلفُقَـــــرَا وَتَـــرْكُهُ لِذِكْـــرِ شَـــانِ الأُمَـــرَا
وَعِلْمُـــهُ بِـــأَنَّ حُـــبَّ الأَغْنِـــيَا مِـــنْ طَمَـــعٍ فِـــي نَفْـــسِهِ قَـــدْ خَفِـــيَا
وَحُـــبُّ دُنْـــيَا مَـــا لَهَـــا مِـــنْ حَاصِـــلُ إِذْ أَنَّ مُحْـــبُوبَ الحَبِـــيبِ فَاصِـــلُ
وَلَـــمْ يَـــزِدْ ذَا الحِـــرْصَ فِـــي المَقْـــدُورِ فَالمَـــيْلُ لِلْخَلْـــقِ مِـــنَ الغُـــرُورِ
وَالمُـــصْطَفَا المُخْـــتَارُ قَـــدْ تَخَيَّـــرَا لِنَفْـــــسِهِ جُلُوسَـــــهُ لِلفُقَـــــرَا
وَقَـــالَ أَيْـــضاً بِهِـــمْ أُمِـــرْتُ وَفِـــي جُلُـــوسِ غَيْـــرِهِمْ عُوتِـــبْتُ[1]
مَحْـــيَاهُمُ المَحْـــيَا كَـــذَا المَمَـــاتِ لِأَنَّهُـــم قَـــوْمٌ لَهُـــمْ ثَـــبَاتُ
وَمِـــنْ دُعَـــاهُ أَحْيِنِـــي مِـــسْكِيناً فَكَـــانَ فَـــضْلاً وَاضِـــحاً مُبِيـــناً
أَوْصَـــى عَلِـــيّ المُرْتَـــضَى بِحُـــبِّهِمْ وَكَـــمْ أَتَـــى فِـــي شَـــأْنِهِمْ وَقُـــرْبِهِمْ

---

(1) يشير إلى قوله تعالى: (عبس وتولى أن جاءه الأعمى... الآية).حيث عاتب الله تعالى فيها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على إقباله على سادات قريش، وإعراضه عن ابن مكتوم حين جاءه يسعى طلبا للهداية وسماع القرآن.

السلمي

ومن عيوبها: محبة مجالسة الأغنياء، وميله إليهم، وإقباله عليهم، وإكرامه لهم.

ومداواتها: مجالسة الفقراء، والعلم بأنه لا يصل إليه مما في أيديهم إلا مقدار ما قدره الله له؛ فيقطع الطمع منهم؛ فيسقط ذلك محبتهم والميل إليهم، ويعلم أن الله عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في مجالسة الأغنياء؛ فقال: (أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى)؛ فقال الرسول بعد ذلك: "المحيى محياكم والمماة مماتكم"، وقال للفقراء: "أمرت أن أصبر نفسي معكم"، وقال عليه الصلاة والسلام "اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي وغيره: "عليك بحب المساكين والدنو منهم".

وَقَـدْ قَـضَيْتُ مَـا وَعَـدْتُ أَوَّلاً فَهَـذِ بِالمَقْـرُبَا مُحَـصِّلَا
وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى مَـا أَنْعَمَـا ثُـمَّ لَـهُ الـشُّكْرُ عَلَـى مَـا تَمَّمَـا
مِـنْ رَجَـزِ المُهِـم مِـنْ عـيُوب وَمِـنْ بَـيَان الـلَّازِمِ المَطْلُـوب
أَتْمَمْـتُهُ جَمِـيعَهُ بِطَيـبَهْ وَذَاكَ تَـارِيخٌ مَـلَا وَطَابَـهْ
وَكَـانَ ذَاكَ بِـدَارِ الهِجْـرَة فِي رَوضَةِ المُخْتَارِ قُرْبَ الحُجْرَة
تُجَـاهَ رَأْسِ الهَاشِـمِيّ الأَطْهَـرِ مَـنْ حُـسْنُهُ لِكُـلّ عَاقِـلٍ يَبْهَـرِ
عَلَـيْهِ أَفْـضَلُ صَـلَاةٍ وَأَجَـلْ تَحِـيَّةً مِـنْ رَبِّـهِ عَـزَّ وَجَـلْ
عَـامَ ثَمَـانٍ وَثَمَانِـينَ نُجِـزْ بَعْـدَ ثَمَانِـي مَائَـةَ هَـذَا الرَّجَـزِ[1]
فِـي يَـومِ الاثْنَـيْنِ لَـدَى الظَهْيـرَة نِـصْفُ جِمَـادَى وَهِـيَ الأَخِيـرَة
فَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى مَـا يَـسَّرَا مِـنْ نَظْمِـهِ مُهَـذَّباً مُحَـرَّرَا
ثُـمَّ صَـلَاتُهُ عَلَـى خَيْـرِ الـوَرَى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ عَـدَّ الثَّـرَا
وَصَـحْبِهِ وَالتَّابِعِـينَ أَبَـدَا وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى طُـولِ المَـدَى
وَفَـوْقَ سِـتَّةٍ فِـي المِئيـنَا عِدَّتُـهُ فَحَـقُّ التَّبْيِيـنَا

(1) وفي هذه السنة حج الشيخ أحمد زروق للمرة الثالثة؛ حيث كتب أرجوزته هذه بالروضة الشريفة عند زيارته لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم.
ونشير إلى أن المترجمين لم يتعرضوا لهذه المرحلة من حياة الشيخ أحمد زروق؛ ويتبين أنه قضى بين مكة والمدينة أكثر من خمسة أشهر.
ولقد ختم الشيخ زروق أرجوزته بالتذكير بأنه قد أنهاها وفق ما التزم به في المقدمة.حيث جاءت مجملة ومحصلة لما قاله السلمي في الموضوع بهدف تسهيل الحفظ والتقييد والتحصيل.

وَاللهُ أَرْجُــو أَنْ يَكُــونَ نَافِعــاً ... لِكُـلِّ خَيْـرٍ فِـي الوُجُـودِ جَامِعَـا

مُـسْتَغْفِراً مِـنْ كُـلِّ ذَنْـبٍ وَزَلَـلْ ... وَرَاغِـباً مِـنْ رَبِّـنَا سَـتْرَ العَمَـلْ

فَإِنَّــهُ ذُو الجُــودِ وَالإِكْــرَامِ ... وَالفَــضْلِ وَالإِحْــسَانِ وَالإِنْعَـامِ

خاتمة

لم يتكلم الشيخ أحمد زروق في أرجوزته "عيوب النفس ومداواتها" باعتباره فقيها أو مثقفا ملما بتراث الصوفية في الموضوع فقط؛ ولم يقم بوصف تلك العيوب، وبرصدها من الخارج. بناء على ثقافته الصوفية النظرية؛ بل نجده يتكلم عن ذلك باعتباره عاش التجربة الصوفية بِكُلِّ أحوالها وأبعادها، وسلك كل دروبها، وقطع كل مراحلها، وكشف كل مجاهلها ليتربع على كرسي المشيخة في عصره بدون منازع. حيث صار شيخ الشيوخ، وقطب أهل زمانه.

وإذا علمنا أن الشيخ أحمد زروق قد نظم أرجوزته، وكتبها سنة **888** هجرية بعد حجته الثالثة، وأثناء ذهابه للمدينة المنورة لزيارة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنه ألفها بكاملها بالروضة الشريفة تبين لنا مدى أهمية أرجوزة عيوب النفس التي نظمها بعدما أسس طريقته الصوفية الزروقية، وبعدما اكتمل بنيانها، وبعدما صار له أتباع ومريدون من كبار وجلة العلماء الصوفية.

هذا ولقد تطرق الشيخ أحمد زروق لعيوب النفس من خلال شروحه المختلفة للحكم العطائية؛ كما أنه أفرد كتابه: «إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين» ليرسم لأتباعه من خلاله المنهج الواضح لحياتهم الباطنية وكيفية معالجة نفوسهم وتصفية قلوبهم. وتعزيزاً لما سبق شرح عيوب النفس للإمام الفخار، وأخيراً نظم فصول السلمي؛ لتسهيل حفظها وتحصيلها والانتفاع بها، باعتبارها وسيلة لتربية السالكين في الطريق الصوفية عموماً

والطريقة الزروقية على الخصوص.

إذا علمنا كل ما سبق تبين لنا حجم شخصية الشيخ أحمد زروق في هذه المرحلة بالذات، وأهمية ما كتبه أثناءها بعد اكتمال نضج فكره الفقهي، وعمق تجربته الصوفية، وتأكد لنا علو مقامه كشيخ للطريقة خبير بمكامن النفوس ودسائسها وخدعها، وكطبيب مختص يقدم لكل مريض نفسي ما يلائمه من الأدوية والأشربة الروحانية النورانية التي تطهر النفوس، وتعيد لها شفاءها، وصفاءها.

ثم إن التعبير عن هذه العيوب والأمراض، وطرق الشفاء منها رجزا ونظما ليضعنا في غمرة الأحوال النورانية الربانية التي كانت تغمر روح الشيخ أحمد زروق؛ ففاضت تلك الأنوار وتدفقت تلك المشاعر على لسانه شعرا ونظما.

إذا علمنا كل ما سبق من الظروف والأحوال والملابسات التي تزامنت وصحبت فترة نظم الشيخ أحمد زروق لأرجوزة "عيوب النفس ودواؤها" تأكدت لنا أهمية الأرجوزة في تربية السالكين، وإرشادهم إلى طرق المجاهدة الروحية بالمدرسة الزروقية الشاذلية القادرية السنية المحمدية.

فهرس المحتويات

VICES OF SOUL AND ITS CURE

by

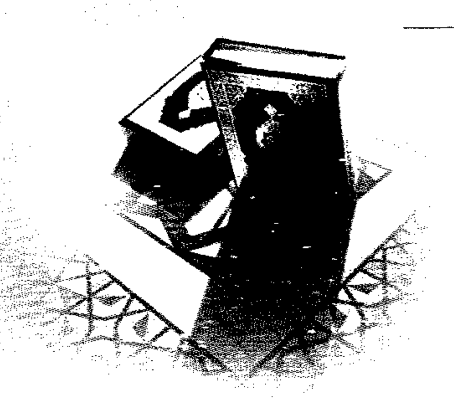
Al-šayḫ Abu al-ʿAbbās Aḥmad Zarrūq

Edited by

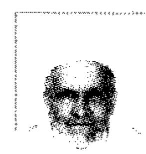
Mohammad Tayeb



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



قَدْ أَخْـبَـرَ اللهُ بِـشُـؤْمِ الـنَّـفْـسِ	وَمَـا لَهَـا مِـنْ عِـلَّـةٍ وَلَـبْـسِ
فِي يُوسُفَ وَغَـيْـرِهَا كَالجَـاثِـيَـهْ	وَالنَّازِعَـاتِ وَهْـيَ آيٌ نَـاهِـيَـهْ
عَنِ اتِّـبَـاعِ الـهَـوَى وَالـنَّـفْـسِ	وَتَرْكُ مُوجِـبِ الـرِّضَـى وَالأُنْـسِ
وَفِي حَدِيثِ المُصْطَفَى المُـعَـظَّـمِ	ثَلاثَةٌ فِـي طَـيِّ طِـيْـنٍ لآدَمِ
وَهِيَ البَـلاءُ وَالـهَـوَى وَالـشَّـهْـوَةْ	فَلْتَعْتَصِـمْ بِرَبِّنَـا ذِي الـقُـوَّةْ
عَـلَـى اصْـطِبَـارٍ وَادِّكَـارٍ وَجِـهَـادْ	لِـكَيْ تَنَـلْ بِـذَاكَ غَايَةَ الـمُـرَادْ
مُشَمِّراً فِـي البَحْـثِ عَـنْ عُيُـوبِكْ	وَهَـارِبـاً لِـلَّـهِ مِـنْ ذُنُـوبِـكْ
فَـلَـيْـسَ لِـلْـعَـبْـدِ سِـوَى مَـوْلاهُ	وَهُوَ الَّذِي يُعْـطِـيـهِ مَـا يَـهْـوَاهُ



المؤلف:

الأستاذ: محمد طيب إدريس.

من مواليد سنة ١٣٦٩ هجرية ١٩٥٠ ميلادية . بقبيلة بني ورياكل بالمغرب.

حفظ القرآن الكريم بمسجد قريته التي ينتمي إليها الشيخ أحمد زروق.

انتقل مع أسرته إلى فاس ؛ وبها درس ، وتخرج من القرويين سنة ١٩٦٨ .

بعدها حصل على :

دبلوم المدرسة العليا للأساتذة .

الإجازة في الآداب.

الإجازة في الحقوق.

انتمى إلى سلك التعليم بتوجيه ، وإصرار من أبيه ؛ وتدرج في المهام التالية:

*أستاذ اللغة العربية والتربية الإسلامية بالدار البيضاء.

*أستاذ المواد الإسلامية بالمعهد الإسلامي بمكناس.

*مفتش التعليم الثانوي بمدينة مكناس.

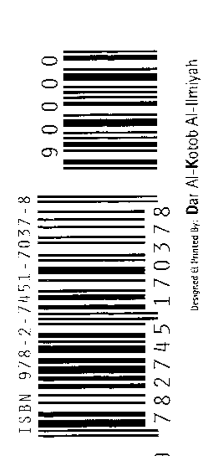
*مفتش منسق جهوي بأكاديمية التعليم بمكناس.

*مفتش منسق مركزي لمادة التربية الإسلامية بوزارة التعليم بالرباط.

متقاعد حاليا ، ومتفرغ للبحث والتأليف.

له بحوث ودراسات كثيرة في مجال التربية والتعليم.

مؤلف لعدة كتب.


ISBN 978-2-7451-7037-8
Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban
ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
هاتف: 12/ 11/ 804810 5 961+
فاكس: 804813 5 961+
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com
DKI
دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah